مسلمون خلف الذاكرة

شعبان عبدالرحمن

- الروهنجيا
- المسلمون داخل الصين
- تركستان الشرقية
- شبه جزيرة القرم
- أبخازيا
- تايوان
- هونج كونج

إنسان للدراسات الإعلامية
İnsan Medya Araştırmaları Merkezi

مسلمون خلف الذاكرة

الإصدار الأول

مسلمون خلف الذاكرة

الإصدار الأول

شعبان عبد الرحمن

القياس: 14 × 20 الصفحات: 80

ISBN: 978 - 625 - 902 - 585 - 8

الطبعة الأولى
١٤٤٧هـ - ٢٠٢٥ م
جميع الحقوق محفوظة

إنسان للدراسات الإعلامية

İnsani Araştırmalar ve İletişim Derneği
مركز إنسان للدراسات الإعلامية
Kütük numarası: 34-225-191 Kuruluş Tarihi: 01.08.2016
Telefon Numarası: +90 507 306 81 05
Adres: ŞirinEvler Mh Adnan Kahveci bulvarı CD No: 214 D:13 Bahçelievler.Istanbul/Türkiye

غير مسموح بإعادة نشر أو إنتاج هذا الكتاب أو جزء منه بأي وسيلة
أو تصويره على أي نحو بدون موافقة الناشر

التصميم والإخراج الداخلي
لمسات للتنضيد والإخراج الطباعي
lamasattdp@gmail.com
+90 5459557709
لمسات LAMASAT

مسلمون خلف الذاكرة

الإصدار الأول

شعبان عبد الرحمن

إنسان
للدراسات الإعلامية

المُقدِّمَةُ

بقلم: البرفيسور دكتور محمد حرب

تاريخُ الأقلياتِ المسلمةِ في العالمِ زاخرٌ بالأحداثِ والتضحياتِ، ومَلِيْء بالنجاحاتِ والإخفاقاتِ.

إنّه ملحمةٌ إنسانيةٌ وحضاريةٌ سجّلها التاريخُ في أنصعِ صفحاتِهِ، منذ أن كانت هذه الأقلياتُ في موقعِ الريادةِ تحكمُ إمبراطورياتٍ كبرى وتبسطُ نفوذَها، حتى أصابَها الوهنُ وتكالبتْ عليها قوى الاستعمارِ، فمزّقت وحدتَها وحوّلتها إلى أقلياتٍ مُستضعَفَةٍ.

ومع ذلك، ظلّت هذه الأقلياتُ متشبثةً بدينها، صابرةً مثابرةً، تصنعُ بجهودِها ملحمةً جديدةً من أجلِ البقاءِ، بلْ وتُصرُّ على النُهوضِ من جديدٍ.

وقد نجحَ الاستعمارُ الثقافيُّ والفكريُّ في تغييبِ قضايا هذه الأقلياتِ عن وعي الأمةِ الإسلاميّةِ، وصناعةِ حاجزٍ نفسيٍّ بينها وبين عُمقها الحضاريّ، حتى غدتْ غريبةً في دِيارِ المسلمين، وبات ذكرُها أو الاهتمامُ بشؤونِها أمرًا نادرًا، لتدخلَ بذلك إلى عالم النِسْيانِ، وكأنَّها على طريقِ الاندثارِ بصمتٍ دونَ أن تعرفَ عنها الأجيالُ إلا القليلَ النادرَ.

ومع ذلك، فقد نهضتْ فئةٌ قليلةٌ من العلماءِ والأساتذةِ الأكاديميين والباحثين والكُتّاب، فأحسنوا الاهتمامَ بتاريخِ هذه الأقلياتِ، واعتنوا بدراسةِ أوضاعِها وكشفِ مُعاناتِها، مُبْرِزِينَ إسهاماتِها الحضاريةِ وكفاحِها الطويلِ في سبيلِ الحفاظِ على الهُويّة الإسلاميّةِ والبقاءِ في وجهِ التحدياتِ.

وإنَّ اهتمامَ الكاتبَ الصحفيَّ الكبيرَ الأستاذ «شعبان عبد الرحمن» بتسليطِ الضوءِ على شؤونِ الأقلياتِ المسلمةِ، من خِلالِ سلسلتِهِ القيّمةِ: «مسلمونَ خلفَ الذاكرةِ»، لَعَمَلٌ يُشكرُ عليه، ويُسجَّل في ميزانِ جُهودِه، فهو من رُوّادِ الكِتابةِ في هذا المجالِ، ويُمثّلُ صوتًا ينوبُ عن أصواتٍ غيّبها التعتيمُ والتجاهلُ، مستهدفًا توعيةَ العالمِ الإسلاميّ بقضايا هذه الأقلياتِ والتعرّيفَ بمعاناتِها، والدعوةَ إلى نُصرتِها ودعمِها.وتُعدُّ هذه الإسهاماتُ إضافةً رائدةً ومحمودةً إلى حقلِ الدراساتِ المَعْنِيةِ بالأقلياتِ المسلمةِ وقضاياها.

١

قراءةٌ تحليليةٌ
في حاضر ومستقبل الأقليات المسلمة حول العالم

يعيشُ ما يقرب من ثلث المسلمين كأقليات عددية حول العالم، يتعرض عددٌ كبير منهم لصور مختلفة من التهمّيش السياسيّ والاجتماعيّ، والاضطهاد والتعذيب، في حين يحظى آخرون بفُرصٍ أكبرَ للتعايش السلميّ، والاندماج في مجتمعاتهم على اختلاف دياناتها، وفي الحالتين يتمُّ طرحُ إشكالياتٍ وأسئلةٍ تتعلق بكيفية فهم الأوضاع والسياسات التي أدتْ بواقع المسلمين إلى الاضطهاد أو التعايش، وكيف تعامل المسلمون مع مجتمعات مختلفة عنهم ثقافيًّا ودينيًّا؟ وما الأدوار السياسيّة والاجتماعيّة والاقتصاديّة لهم؟ وما أهم التحديات التي يفرضها عليهم واقعُهم؟ وكيف يتعاملون معها من خلال الآليات المؤسسية والسياسية؟ (من مقدمة موسوعة الأقليات المسلمة في العالم).

من بين ٢٣٢ بلداً وإقليماً في العالم (١٩٦ دولة و٣٦ إقليما)، هناك ٥٠ دولة ذاتَ أغلبيةٍ مسلمةٍ، ويعيش أكثرُ من ٣٠٠ مليون مسلم- أيّ أقل من سُدس مجموع المسلمين - في بُلْدان لا يُمثّلُ فيها الإسلامُ دينَ الأغلبية، فالصينُ على سبيل المثال لديها مسلمون أكثرُ من سوريا، وألمانيا أكثرُ من لبنان.

وتُغطي الأقلياتُ المسلمةُ رقعةَ جغرافيةً كبيرةً، حيثُ تنتشر في معظم دول العالم، وهي تعاني عاملاً مشتركاً واحداً، وهو تعرضُهم لتحدياتٍ أو تهديداتٍ، مبعثُها الأساسيّ المجتمعاتُ غيرُ المسلمةِ التي تعيش فيها، لكنَّ حِدَةَ هذه المشاكل وحجمَ التهديدات يختلفان بالطبع من إقليم إلى آخر ومن دولة لأخرى (عربي بوست).

التلاعبُ والانحيازُ في الإحصاءات

ويُمثّل التلاعبُ في تِعداد المسلمين وخاصةً الأقليات أحد أكبر التحديات في الوصول إلى أرقام واقعية لتِعدادهم حول العالم، ورغم أن بعض المصادر تذهب إلى أن عدد المسلمين في العالم يصل إلى قُرابة المليارِي نسمة، بنسبة تقارب ٢٤٪ من عدد سكان الأرض، مما يعني أنهم يُمثّلون ثاني أكثر الأديان انتشارًا على الكوكب بعد الديانة المسيحية التي تصل نسبةُ مُعْتَنِقِيهَا إلى ٣١٪ من مجموع سكان الأرض، وتأتي الهندوسية في المرتبة الثالثة بين أكثر الأديان انتشارًا وتبلغ نسبةُ مُعْتَنِقِيهَا ١٥٪ م.

إلاّ أن عدم توفر المراجع والمصادر الكافية ذاتِ المِصداقية عن تِعدادهم فَتَحَ ثغرةً خطيرة للتلاعب في إجمالي عددهم وأماكن تواجدهم، كما أن هناك جهات دولية تحاول الخسف بتِعداد المسلمين خاصة الأقليات، وتتدخل مُحركات البحث في هذه اللُعبة، والهدف من ذلك واضح وهو التهوين من تِعداد المسلمين وإظهاره منخفضا، وبالتالي يكون الحديثُ عن حقوقهم المتعددة ومساواتهم بالآخرين حديثاً خَجُولاً، وقد وصل الأمرُ إلى حدِّ التزوير في التِعداد الخاص بالمسلمين في دول معروفة بأنها دولٌ إسلاميةٌ، وتِعداد المسلمين فيها أكبرُ من غيرهم، لدرجة هبطتْ بنسبة المسلمين فيها من أغلبية كاسحة إلى أقلية متواضعة، ومثال ذلك تِعداد المسلمين في دولة مثل نيجيريا، فبالرجوع إلى برنامج «شات Gpt» حول هذا الموضوع، ذَكَرَ ما يلي:

«بعد مراجعة الإحصائيات المُتاحة حول نسبة المسلمين في بعض الدول ذاتِ الأغلبية غير المسلمة، تبيّن أن هناك تباينًا في الأرقام المذكورة، فعلى سبيل المثال، تشير بعض المصادر إلى أن نسبة المسلمين في نيجيريا تتراوح بين ٥٠٪ و٦٠٪، مما يجعلهم إما متساوين مع المسيحيين أو يُشكّلون الأغلبية، بينما المُستقِرُّ تاريخيا وواقعا أن نسبة المسلمين هناك هي نسبة كاسحة، بل وتُعدُّ

نيجيريا العضو في منظمة التعاون الإسلاميّ من أكثر الدول الأفريقيّة كثافةً في تِعداد المسلمين.

وفي الهند، يُقدَّر عدد المسلمين بحوالي ١٩٦ مليون نسمة، ما يُعادل نسبةً تُقارب ١٤٪ من إجماليّ السكان.

وفي القارة الأوروبيّة لا تتوفر في العديد من البلدان- وفق المصادر الحالية - معلوماتٌ دقيقةٌ حول نسبة المسلمين.

أما في باقي الدول الأوروبية وأمريكا الشمالية، فتتفاوت نسبة المسلمين بين ١٪ و٦٪، حيث يُقدَّر عدد المسلمين في فرنسا بحوالي ٦ ملايين (حوالي ٩٪ من السكان)، وفي ألمانيا حوالي ٤ ملايين (حوالي ٥٪ من السكان)، وفي الولايات المتحدة الأمريكية حوالي ٦ ملايين (حوالي ١,٨٪ من السكان).

وبناءً على هذه المعلومات، يبدو أن النِسَبَ المذكورة في الإحصائية التي أشرتُ إليها قد لا تكون دقيقةً تمامًا، خاصة فيما يتعلق بنسبة المسلمين في نيجيريا والهند، ويُنصح بالتحقق من مصادرَ موثوقةٍ ومُحدّثةٍ للحصول على بيانات أكثرَ دقة حول توزيع السكان، وفقًا للديانات في هذه الدول.

وقبل أن نُسْهِبَ في تحليل أبعاد هذه القضية، جدير بنا التوقفُ وقفةً أكاديمية، لتعريف ما هي الأقليّة حسب المراجع العلمية ؟.

تعريفُ الأقليّة:

«هي جماعةٌ تعيش بين جماعةٍ أكبرَ، وتُكوّن مجتمعاً تربطُه ملامحُ تميّزه عن المُحيط الاجتماعيّ حوله، وقد تُعتبر مجتمعاً يُعاني من تسلُّط مجموعة تتمتع بمنزلة اجتماعيّة أعلى وامتيازاتٍ أعظمَ، تهدف إلى حرمان الأقلية من مُمارسةٍ كاملةٍ لمختلفِ الأنشطةِ: اجتماعيّة، أو اقتصاديّة، أو سياسيّة، بل تجعل لهم دورًا محدودًا في مجتمع الأغلبية، وتختلف الأقلياتُ من حيثُ العدد والمنزلة الاجتماعيّة،

ومدى تأثيرها في مجتمع الأكثريّة، ومهما كانت هذه المنزلة، فمجتمع الأكثرية، يَنْظُرُ إليهم على أنهم (غرباءُ) عنه..».

«..وقد اختلف الباحثون فيما بينهم في التفرقة بين مفهومي الأقليّة والدولة الإسلاميّة، فبعضهم يرى أنه إذا زادت نسبة المسلمين في الدولة عن ٥٠٪ تصبح الدولةُ إسلاميةً، ويري البعض أنه إذا كان المسلمون أغلبيةً مقارنةً بأصحاب الديانات الأخرى حتى وإن لم يتجاوزوا نسبةَ ٥٠٪ تصبح الدولةُ إسلاميةً، وهناك فريق ثالث من الباحثين يرى أن المعيار في تحديد إسلامية الدولة هو النص الدستوري، أو ديانة رئيس الجمهورية، أو تشكيل النظام الحاكم..» (ويكيبيديا الموسوعة الحرة).

وقد حَظِيتْ أوضاعُ وشئونُ الأقليات المسلمة حول العالم باهتمام علماء الأمة ومُفكّريها وإعلاميها والحركات الإسلامية الفاعلة، فعُقدتْ من أجلها مؤتمراتٌ وندواتٌ وصدرتْ دراساتٌ وأبحاثٌ، بل وتوافد صحفيون وباحثون إلى حيثُ تتواجد هذه الأقلياتُ؛ لدراسة أوضاعها على الطبيعة، ونتجَ عن ذلك دراساتٌ متنوعةٌ للتعريف بأوضاع هذه الأقليات، ومناطق انتشارها ومؤسساتها، وتاريخ الإسلام في الدول التي تعيش فيها، كما صدرت كتبٌ وأبحاثٌ تتناول جوانبَ مختلفةً من أوضاع الأقليات، السياسيّة والفقهيّة، والاجتماعيّة، والثقافيّة.لكن هذا الاهتمامَ الكبيرَ ضَعُفَ في الفترة الأخيرة، حتى كادت قضايا هذه الأقليات تنزوي في عالم النسيان، بل إن بعضَها بدأ ينقرض تحت ضربات العُنصريّة البَغِيضَةِ والكراهية، والتعصّب الدينيّ من الأغلبية والتي بلغت حدَّ التطهّير العِرقيّ، وطرد المسلمين إلى خارج ديارهم بدعاوى مختلفة وكاذبة، كما فعل الصّربُ الأرثوذكس والكاثوليك مع المسلمين في البوسنة والهرسك في أواخر تسعينيات القرن الماضي، وكما فعل ويفعل عبدة النار في بورما مع مسلمي الروهنجيا، ويفعل النظام الشيوعيّ الصينيّ مع مسلمي تركستان الشرقيّة وغيرها، وسط صمت العالم.

زياراتي ولقاءاتي:

وقد زرتُ عدداً من هذه الأقليات في دِيارها، كما التقيتُ بعدد كبير منهم في مَهْجَرِهم حول العالم، وأتابعُ - كغيري من المُهتمين - أحوالَهم عن قُرب، وأشهدُ أن تمسّك هذه الأقليات بديارها التي وُلدت فيها، وبأرضها التي نشأتْ عليها، وتشبثَها بحقوقها والمُنافَحَة عنها على كل المستويات وفي كل المنتديات، جسّد قضاياها ورسّخها وجعلها ساخنةً على الساحة الدوليّة، وقدموا في سبيل ذلك - ومازالوا - تضحياتٍ كبرى تحت ضربات الحرب الشرسة الدائرة عليهم، وتمكّنوا بفضل الله، ثمّ إيمانهم بعدالة قضيتهم، وتمسكهم بحقوقهم من الظَفَرِ بموقع على خريطة اهتمام العالم، بعد أن أصبحوا في كثير من البلاد قوةً مُعترَفًا بها، وتحظى بتمثيل سياسيّ ونِقابيّ واقتصاديّ، حقق لها الاندماجَ في المجتمع، والانسجامَ معه إلى حد ما، حتى باتتْ مُرحَّبًا بها في العديد من المجتمعات، بينما مازال عددٌ منها يواجه التنكيلَ والطردَ من البلاد، مثلما يحدث في بورما مثلا -، أو تذويب الهُويّة، وممارسة الضغوط للتخلي عن الإسلام، مثلما يحدث في تُركستان الشرقية على يد النظام الشيوعي المُلحد، وبات العالم يقف من تلك الأقليات موقفَ المُتابع، لكن دون الاهتمام الكافي، ويبقى مطلوباً من العالم الإسلاميّ والعربيّ شعوباً وحكوماتٍ الوقوفَ إلى جانبهم بقوة لنيل هذه الحقوق، أقول الشعوبَ قبل الحكوماتِ، فهناك حكوماتٌ - للأسف ترفع مصالحَها الخاصة فوق حقوق إخوانهم في الإسلام.

ويزيد من التحدي في هذه القضية أنّ الصراعاتِ والحروبَ والتحدياتِ الصعبةِ في العالم الإسلاميّ دفعتْ بموْجات جديدة من هذه الأقليات، بل ومن المسلمين عموماً من الفرار في هِجرات إلى دول مختلفة من العالم فراراً بالدين إلى المناطق الهادئة مثل أوروبا، لكنَّ صعودَ اليمين المُتطرّف في أنحاء أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية ودولٍ أخرى في أمريكا اللاتينية، وزيادة حِدة انتشار ظاهرة الإسلاموفوبيا، وما خلّفته من مظاهرَ عنفٍ وتحرشٍ بالمسلمين، بات يمثّلُ مُعضلةً كبيرةً أمام

تلك الأقليات، الأمر الذي يستوجب وقفاتٍ تحليليةً أسبوعية - في مقالات قادمة - لشئون هذه الأقليات؛ للتعريف بهم، وبالأخطار التي تُحْدِقُ بهم، وتهدد وجودَهم، خاصة أن آلةَ التطرّف، ومقصلة العنصرية التي لا تتوقف تقضي عليهم رُويدا رُويدا ويوماً بعد يومٍ وفي صمت، ولله الأمرُ من قبلُ ومن بعدُ.

٢

مِحنةُ مسلمي الرُوهنجيا في بُورما
الاقتلاعُ من الجُذور

كعادته مع كلّ محرقة بحق المسلمين، يقف العالمُ مُتفرّجاً على حملة الإبادة الوحشيّة التي يُمارسها البوذيون بحق المسلمين في «أراكان»، تحت سمع وبصر السلطات البُورميّة، التي تغضُّ الطرفَ عنها حينا وتُسْبِغُ عليها الشرعيّةَ حيناً آخر.

مؤخراً، انطلقت موجةٌ جديدةٌ من حملة الإبادة المتواصلة منذ عُقود طويلة، بمجزرة لعشرة من العُلماء تبعتها مَوْجات أخرى من القتل وحرق أحياء وقرى كاملة، في أوسع عملية إبادة ممنهجة لأكثرَ من أربعة ملايين مسلم مشتتين حول العالم، بعد نُزوح جماعيّ من ديارهم عَبْرَ الخليج البنجاليّ إلى حدود الدول المجاورة، وذلك هو هدف النظام البورميّ الأكبر من تلك المذابحِ، طرد المسلمين من ديارهم، ودفعهم إلى عالم الشتات، والهجرة أو الإبادة بلا هَوادة؛ للسيطرة على كامل ديارهم وأراضيهم، سعياً لفرض السيطرة البُوذية الكاملة عليها، بينما بقي قرابةُ النصف مليون في ديارهم يعانون الاضطهاد والتنكيل والإبادة.

تلك الحملةُ ليست الأولى بحق المسلمين في «أراكان» التي كانت يوماً دولةً مسلمةً مستقلةً منذ القرن السابع الميلاديّ، لكنَّ حملات التطهير العِرقي الدمويّة توالت على شعبها المسلم منذ احتلال بورما البوذية لها عام ١٧٤٨م.

وقد كان عامُ ١٩٤٢م موعداً مع ارتكاب البُوذيين أولى أبشع المذابح وأوسعها والتي راحَ ضحيتَها أكثر من مائة ألف مسلم، ثم بدأت القواتُ البُوذية مسلسلَ تفريغِ أراكان من أهلها المسلمين، بتهجير ١,٥ مليون مسلم من أراضيهم بين عامي ١٩٦٢ و١٩٩١ م إلى بنجلاديش الأقرب لحدودها، ومن بقي في بلاده عاش تحت مَقْصَلَةِ القمع كمواطنين فاقدين لحقوق المواطنة، ولم تعترفْ سلطاتُ بُورما - التي يحكمها الجيش - بعِرقيّة سكان أراكان المسلمة رغمَ المطالبات الدولية المستمرة بهذا الاعتراف، وتُصرُّ بورما (ميانمار) على اعتبارهم أغراباً تعود جنسيتهم إلى بنجلاديش المُجاورة، رغم أنهم يعيشون على هذه الأرض منذ قرون.

وعلى الرغم من مناقشة قضية المسلمين (الأراكانيين الروهنجيين) من قِبَلِ الأمم المتحدة ومنظمة آسيان، ومنظمة التعاون الإسلامي منذ عقدين؛ إلا أن شيئاً لم يتغيّر، بل يزداد سوءًا.

وفي ظلال هذا العجزِ، تتواصل حملاتُ التهجيرِ والدفعِ بالمسلمين في عَرْضِ البحر على سُفن متهالكة بلا طعام ولا شراب في رحلة إلى المجهول، وقد بُحَتْ أصواتُهم وأصواتُ أطفالهم ونسائهم من الاستغاثة بالعالم خاصة العالم الإسلامي، ووصلوا إلى الدول المُجاورة في حالة يُرْثَى لها بين الحياة والموت، وقد فارق - بالفعل - الكثيرُ منهم الحياةَ، كما أنّ عملياتِ الاضطهادِ والقتلِ تتواصل لكلِّ مَنْ بقي هناك، ولا حولَ ولا قوةَ إلا بالله.

من هم...؟

«الرُوهينجا» هم الأقلية المسلمة في ميانمار (بورما) ويتركزون في ولاية «راخين»، أو كما كان يُطلق عليها قديمًا «أراكان»؛ وتُصنّفهم الأممُ المتحدةُ بأنهم من أكثر الجماعات اضطهاداً في العالم، وهو نفس الوصف الذي أعلنته المُتحدّثة باسم الأمم المتحدة عام ٢٠٠٩ م.

ووفقا لتِعداد عام ٢٠١٤م، يُمثّلون ٤,٣٪ من إجمالي تِعداد السكان ذي الأغلبية البوذية التي تُمثّل ٨٧,٩٪ من مجموع السكان، ويُعدُّ المسلمون الأكثرَ تعرضًا للاضطهاد في ظل النظام العسكريّ الدكتاتوريّ المُسيطِر.

ويعيش المسلمون في ميانمار (المعروفة أيضًا باسم بُورما) منذ القرن الحادي عشر الميلاديّ، وأول مسلم تمّ توثيقُه في تاريخ بورما، كان في كتاب همنان يازوين (سجلات القصر الزجاجي) هو «بيات وي»، وذلك في عهد الملك «مون» ملك ثاتون حوالي عام ١٠٥٠، وكان ل «بيات وي» شقيق يُدعى «بيات تا»، أنجبَ ولدين يُعرفان باسم الأخوين «شوي بين» وقد تمَّ إعدامُهما عندما كانا طفلين، إمّا بسبب عقيدتهما الإسلاميّة أو رفضِهما أداءَ العملِ القسريّ (السُخْرَة).

وقد ظهرت أولى بوادر اضطهاد المسلمين لأسباب دينية هناك، عندما حظر الملك «باينتوانغ» في منتصف القرن السادس عشر (١٥٥٠م - ١٥٨٩ م) مُمارسة الذبح الحلال للدجاج والمواشي، كما منعَ المسلمين من الاحتفال بعيد الأضحى وذبح الأضاحي من الماشية، وأَجْبَرَ المسلمين على الاستماع إلى المواعظ البُوذيّة؛ تمهيداً لإجبارهم على تغيير دينهم بالقوة.

تاريخياً، تمَّ التعاملُ معهم في حكومة رئيس الوزراء البُورميّ يونو (١٩٤٨م - ١٩٦٣م) كمواطنين، لكنَّ هذا الوضعَ تغيّر مع الانقلاب العسكريّ الذي وقع عام ١٩٦٢م، فقد استمر عددٌ قليل منهم في وظائف الدولة، بينما تمَّ استبعادُ مُعظمِهم، وكذلك المسيحيون من وظائفهم ومواقعهم في الحكومة والجيش.

وفي عام ١٩٨٢م، قدمتِ الحكومةُ لوائحَ تَحْرِمُ أيَّ شخصٍ غير قادر على إثبات أصله البُورميّ الذي يعود تاريخُه إلى ما قبل عام ١٨٢٣ من الحصول على الجنسيّة، وقد حَرَمَ هذا القانونُ أعداداً كبيرةً من المسلمين من حقوقهم، على الرغم من أنهم عاشوا في البلاد لعِدة أجيال، وعلى امتداد قرنين من الزمان.

ومنذ عام ١٩٤٨م، شنّت الحكوماتُ المتعاقبةُ ١٣ حملةً عسكريّةً عِرقيّةً وطائفيةً ضد الروهينجيا في أعوام (١٩٧٥، ١٩٧٨، ١٩٨٩، ١٩٩١-١٩٩٢، ٢٠٠٢م)، وقامت قواتُ الأمن خلال هذه الحملات بطرد الرُوهنجيا من أراضيهم، وأحرقتْ مساجدَهم وارتكبتْ عملياتِ نهبٍ وإحراقٍ لممتلكاتهم، مصحوبةً باغتصاب النساء على نطاق واسع قبل وأثناء طردهم خارج ديارهم إلى عالم الشتات.

طمسُ الهُويّة في التِعدادِ السكانيّ:

وقد اتخذت السلطاتُ الحكوميةُ إجراءاتٍ صارمةً لطمس انتماء عِرقيّة الرُوهنجيا في التِعداد السكانيّ، وتُصرُّ على إجبارهم على التخلي عن هذا الانتماءِ، كما قامت بحذف مصطلح «الروهنجيا» من استمارة التِعداد السكانيّ باعتباره مخالفاً للقانون، ويُعاقبُ صاحبُه بالسجن لمدة عامين، بل إنّ ظهورَ كلمةِ «مسلم» في الهُويّة بدلاً من «بنغاليّ» يُعرّضُ صاحبَها للاعتقال أو الغرامة، وقد نقلت وكالةُ أنباءِ الروهنجيا عيّنةً من تهديدات المسئولين الإداريين والأمنيين في خطاباتهم للسكان مثل: «نحن منزعجون كثيرًا؛ لأنكم تزعمون أنكم من الروهنجيا، إن من يَذكرُ في التِعداد السكاني أنه من الروهنجيا سنعاقبُه بمُوجب القانون، ولن نستسلم حتى نجعلَكم تعترفون بأصولكم البنغالية».وغنيّ عن البيان فإن الاعترافَ المطلوبَ يُثبتُ على الروهنجيا - بشهاداتهم- أنهم غُرباءُ عن البلاد، وبالتالي يتمُّ تجريدُهم من المُواطنة ويحقُّ للسلطات طردُهم من البلاد، وما مَوْجاتُ الطردِ والنزوحِ المتتاليةِ التي نتابعها إلا خطوةٌ أخيرةٌ بعد تجريد المواطنين من هُويّتهم ووضعهم في خانةِ الأجانبِ المطلوبِ طردُهم.

السُخْرَة:

وقد امتدت عملياتُ الاضطهاد إلى كل المجالات، وتفرض السلطاتُ حظراً شديداً على تواصلهم مع وسائل الإعلام، كما تمنع ممارستهم للشعائر الإسلامية حتى ذبح الأضاحي، ومن يتمكن من ذبح أُضحيته يتمُّ إرغامُه على دفع الرشاوى.

وبعيدًا عن الحملات العسكرية، يتعرض الروهنجيا للسرقة والابتزاز بشكل مُتواصل من قِبل أجهزة الأمن، كما يخضع العديدُ منهم للعمل القسريّ (السُخْرَة)، وفي بعض الحالات تتم مصادرةُ أراضي المسلمين، وإعادة تخصيصها للبوذيين المحليين، ناهيك عن توقيف الشرطة لهم في الشوارع، ولا يتم تركُهم إلا بعد دفع رشاوى أو غرامات مالية، ولا تتوقف عملياتُ ابتزاز أموال المسلمين خاصة علماء الدين من قبل قوات الأمن، ومن يرفض يتم تهديده بالسجن، وبين الحين والآخر تُجرّد العصاباتُ البوذيةُ حملاتٍ ضاريةً على أحياء المسلمين.

وقد حذرت وكالاتُ الإغاثة الإنسانية من أن موسم الجفاف، الذي يمتد من شهر نوفمبر إلى مايو، يهدد بإصابة عشرات الآلاف من النازحين داخليًا في ولاية «راخين» بغرب ميانمار بأمراض خطيرة.

وتشير بياناتُ مجموعة المياه والصرف الصحي والنظافة العامة إلى أن ٤٠٪ من النازحين داخليًا يحصلون على المياه من البِرَكِ (مياه آسنة)، بينما يستخدم ٢٨٪ منهم المياهَ المُعالجَة، في الوقت الذي يُعاني فيه ٧٪ من المقيمين في المخيمات من عدم الوصول بشكل كاف إلى المياه، ويتم التضييقُ على عمليات العَونِ والإغاثةِ القادمةِ من العالمِ الإسلاميّ.

أولُ مسلمٍ في تاريخِ بُورما:

ويعيش المسلمون في ميانمار (المعروفة أيضًا باسم بورما) منذ القرن الحادي عشر الميلاديّ، وأول مسلم تمَّ توثيقُه في تاريخ بورما والمُسجّل في كتاب همنان يازوين (سجلات القصر الزجاجي) هو «بيات وي» وذلك في عهد الملك مون ملك ثاتون حوالي عام ١٠٥٠، كان لـ «بيات وي» شقيق يدعى «بيات تا»، أنجبَ ولدين يُعرفان باسم الأخوين شوي بين، وقد تمَّ إعدامُهما عندما كانا طفلين، إما بسبب عقيدتهما الإسلاميّة، أو رفضهما أداءَ العملِ القَسْرِيّ (السُخْرَة).

وفي تِعداد عام ٢٠١٤م يُمثّلُ الروهنجيا ٤,٣ من إجمالي تِعداد السكان ذي الأغلبية البُوذيّة التي تمثل ٨٧,٩٪ من مجموع السكان، ويُعدُّ المسلمون الأكثرَ تعرضًا للاضطهاد في ظل النظام العسكريّ الدكتاتوريّ، وتصنفهم الأممُ المتحدة من أكثر الجماعات اضطهادً في العالم، ذلك إضافة إلى عدد من الأقليات الأخرى: الهندوسية (٠,٥٪)، ديانات قبلية (٠,٨٪)، أخرى (٠,٢٪)، لا دينية (٠,١٪)، ولكنها تحصل على حقوقها أكثر من المسلمين.

وقد تمَّ التعاملُ مع المسلمين في حكومة رئيس الوزراء يونو (١٩٤٨-٦٣) كمواطنين، لكنَّ هذا الوضعَ تغيّر مع الانقلاب العسكريّ البورميّ عام ١٩٦٢م، حيث استمر عددٌ قليل منهم في وظائف الدولة، بينما تمّ استبعادُ معظمِ المسيحيين والمسلمين من مناصبَ في الحكومة والجيش، وفي عام ١٩٨٢م، قدمت الحكومةُ لوائحَ تحرمُ أيَّ شخص غير قادر على إثبات أصله البُورميّ الذي يعود تاريخه إلى ما قبل عام ١٨٢٣ من الحصول على الجنسية، وقد حَرَمَ هذا القانونُ العديدَ من المسلمين في ميانمار من حقوقهم، على الرغم من أنهم عاشوا في ميانمار لعدة أجيال.

ومنذ عام ١٩٤٨، شنت الحكوماتُ المتعاقبةُ ١٣ حملةً عسكريةً عِرقيةً وطائفيةً ضد الرُوهينجا، وذلك في أعوام (١٩٧٥، ١٩٧٨، ١٩٨٩، ١٩٩١-١٩٩٢، ٢٠٠٢)، وقد قامت قواتُ الأمن الميانمارية خلال هذه الحملات بطرد الروهينجا من أراضيهم، وأحرقت مساجدَهم وارتكبت عملياتِ نهبٍ وإحراقٍ واغتصابٍ لمسلمي الروهينجا على نطاق واسع.

وبعيدًا عن هذه الحملات العسكريّة، يتعرض الرُوهينجا للسرقة والابتزاز بشكل مُتكرر ومُتواصل من قِبل السلطات، كما يخضع العديدُ منهم للعمل القسريّ، وفي بعض الحالات تمت مصادرةُ الأراضي التي يشغلها المسلمون، وإعادة تخصيصها للبوذيين المحليين.

وقد ظهرت أولُ بوادر اضطهاد المسلمين لأسباب دينية في عهد الملك «باينتوانغ» ١٥٥٠-١٥٨٩ م، فبعد أن استولى على باغو عام ١٥٥٩م حظر ممارسة الذبح الحلال للدجاج والمواشي، وتم إجبارُ بعض الرعايا على الاستماع إلى الخُطب والمواعظ البُوذيّة، ليتم بعد ذلك إجبارُهم على التخلي عن الإسلام بالقوة، كما تمَّ منعُ المسلمين من الاحتفال بعيد الأضحى، وذبح الأضاحي من الماشية.السكانُ والأقلياتُ....

يعيش في بورما تِسْعُ أقلياتٍ بينهم أقليةُ المسلمين (الروهنجيا) التي يبلغ تِعدادُها نحو مليون نسمة، يعيشون في ولاية «راخين» الساحلية الغربية، وهي واحدة من تِسْعِ أقليات تعيش في البلاد، لكنّها الأكثرُ بؤساً وحرماناً من حُقوق المُواطَنِةِ والجنسيّةِ وتَمَلُّكِ الأراضي والتصويت في الانتخابات والسفر، وترزحُ تحت نِيْرِ العُبوديّة على يد الجيش الذي يقبض على البلاد بيدٍ من حديدٍ.وقد تحوّل إقليمُ «راخين» الذي تعيش فيه غالبيةُ تلك الأقلية إلى حقول قتل بالجُملة، مما دفع مئاتِ الآلاف من المسلمين إلى الفرار إلى دول الجِوار التي يرتبطون بها عِرقيّا: تايلاند البوذية، وبنغلاديش الدولة المسلمة، التي يحكمها نظامٌ عَلْمانيّ دكتاتوريّ قاسٍ، لا يعرف معنى الإخوّة الإسلامية أو الإنسانية، ولهذا يتمُّ إجبارُهم عادةً - وبقسوة - على العودة إلى حيث أتوا من بورما، وإن كانت الشرطةُ تتجاهل- أحيانا -أوامرَ الحكومة بمنع عُبورهم إلى داخل البلاد.

بينما يهيمن على البلاد العِرقُ الأكبرُ، وهم «البرمان» أو شعب «بامار»، الذي تبلغ نسبتُه ٤٠ بالمئة من السكانِ البالغِ عددُهم ٤٨,٧ مليون نسمة، ويهيمن هذا العِرقُ على بقية الأقليات، مما أدى إلى حدوث قلاقلَ عديدةٍ، وقد أثمرتْ عمليةُ سلامٍ تدريجيةٍ عن التوصل لمُسودة وقف إطلاق النار عام ٢٠١٥م.

أمّا الأقلياتُ الأخرى بخلافِ المسلمين فهي:

أقليةُ «الكاريني» في ولاية «كايان» الفقيرة، وتتعرض لعمليات تهجير، وهجمات من قِبل الجيش الذي يسعى للسيطرة على المنطقة الغنيّة بالموارد الطبيعية.

أقليةُ «الكاشين» ويُعتقد أنها جاءت من التبت، ويعتنق أفرادُها المسيحيةَ، ولها فصيلٌ مسلحٌ هو «جبهة تحرير كاشين» الذي توصّل لاتفاق وقف إطلاق نار مع الحكومة.

أقليةُ «تشين» البالغ تعدادُها ١,٥ مليون نسمة، وتعيش في ولاية تشين النائية قرب الحدود مع الهند وأغلبها يعتنق المسيحيةَ، ويتعرضون للاضطهاد على يد السلطات ويعانون نقصاً في الغذاء.

أقليةُ «وا» في ولاية «شان» ذات الحكم الذاتيّ، ولهم علاقات وثيقة مع الصين ويستخدمون لُغةَ «المندرين» الصينية كلُغة ثانية، وهم يتوزعون بين الوثنيّة والمسيحيّة، وتتبعها ميليشيا قوية تضم ٣٠ ألفَ مُقاتلٍ، وقد توصلت الحكومةُ معها لاتفاقٍ لوقف لإطلاق النار.

أقليةُ «الشان» هي الأكبرُ حجماً في ميانمار ويُقدّر تعدادُها بـ ٦ ملايين نسمة، مُوزعين بين ولايات شان وكايان وكاشين ووسط إقليم ماندلاي، وأغلبهم يعتنق البوذيةَ ولديهم لغتُهم ويرتبطون عِرقياً بالتاي في جنوب غرب الصين.

أقليةُ «المون» ويُعتقد أنها من أقدم الأعراق في بورما، وأنهم الذين جلبُوا البوذيةَ للبلاد، ويعيشون في جنوب البلاد ويرتبطون عِرقيا بالخمير في كمبوديا، وقد توصّل فصيلٌ عسكريٌّ ينتمي إليهم وهو حزب «ولاية مون الجديد» لوقف لإطلاق النار مع السلطات.أقليةُ «الكارين» ثاني أكبر الأقليات في البلاد، ويعتنق كثيرون منها المسيحيةَ، ويعيشون في ولاية «كياه» (كارين)، وخاضوا الحرب إلى

جانب البريطانيين ضد اليابان أثناء الحرب العالمية الثانية، وكانوا قد وُعدوا بدولة مُستقلة، وهو ما لم يحدث أبدا، ونظرت إليهم السلطاتُ كعملاءَ، لذلك تعرضوا لحملات قمع عديدة.أقليةُ «الراخين» التي تعيش في ولاية راخين (أراكان) غربي البلاد فيمثلون غالبيةَ سكانِ الولايةِ وه بالمئة من تِعداد ميانمار، وأغلبهم بوذيون، وتعيش هذه الأقلية في جنوب بنغلاديش أيضا.

واجبُ العالمِ الإسلاميّ:

وبعدُ، فإن العالمَ الإسلاميَّ حكوماتٍ وشعوباً مُطالبٌ بالخروج عن صمته وعجزة، ويتحرك لنصرة هؤلاء المسلمين المضطهدين، كما يجب على منظمة التعاون الإسلامي أن تغيّر من منهجها في التعامل مع مِحن المسلمين، فلا تكتفي بإصدار المُناشدات والبيانات، بل تتحرك لاتخاذ مواقفَ عمليةٍ وقويةٍ ضد دولة بُورما، خاصة أن العالم الإسلاميّ يمتلك من الأدوات الدبلوماسيّة والاقتصاديّة والسياسيّة والإعلاميّة الكثيرَ في هذا الصدد، ولكنَّ المسألةَ تحتاج إلى إرادة سياسية من دول العالم الإسلاميّ، كما أن المنظماتِ والجماعاتِ والمؤسساتِ الإسلاميّة مطالبةٌ بالتحرك لفضح ما يتعرض له المسلمون من اضطهادٍ ومجازرَ والتنديد بها، والضغط على حكوماتها للتحرك لوقفها واستنقاذ حقوق المسلمين.

وغنيٌ عن البيان، فلا نستطيع توجيه إدانة للأمم المتحدة والمنظمات الدولية الصامتة عن تلك المجزرة، بينما العالم الإسلاميّ يظهر بهذه الحالة الضعيفة.

وفي التحليل الأخير، فإن نُصرةَ مسلمي أراكان فريضةٌ شرعيّةٌ، وواجبٌ إنسانيٌّ و أخويٌّ، سيحاسب اللّهُ عليه كلَّ مَنْ يُقصّرُ فيه.

السيدة أمينة أردوغان زوجة الرئيس التركي
خلال زيارتها للاجئين الروهنجيا (المسلمين) في بنجلاديش عام ٢٠١٧م
وبصحبتها وزير الخارجية التركي في ذلك الوقت شاووش أوغلو ونجلها بلال

٣

المسلمون الصينيون
ملحمةُ التشبثِ بالعقيدةِ ومقاومةُ الانصهارِ في الشيوعيّة

ينتمي المسلمون الصينيون الذين نشأوا داخل الصين وعاشوا على أرضها إلى «قوميّة الهاو» أو «الخوى» وهم من العِرْقِ الصينيّ، ويُقدّر عددُهم بأكثرَ من ثمانية ملايين، ويخوضون عَبْرَ التاريخ ملحمةً سيُخلّدُها التاريخُ تشبثاً بدينهم وخصوصيتهم الحضاريّة، ومقاومةَ حملاتِ النظام الشيوعيّ الصينيّ؛ لإجبارهم على التخلي عن دينهم، والانصهار بالقوة في الدولة الوطنيّة الصينيّة، وكانوا دائماً يُميّزون أنفسَهم -كمسلمين - عن غيرهم من بَنِي جِلْدَتِهم الصينيين.

هذا جانب من المسلمين المنسيين الذين حكمُوا ثمانيَ ولاياتٍ صينيةٍ من اثنتي عشرةَ ولايةً في ذلك العهدِ، وبنوا هناك مجداً تِليداً، ثمّ تكالبتْ عليهم قوى الاستعمارِ العالميّ، فأعملتْ فيهم آلةَ القهرِ والفقرِ والتخلفِ، ومحاولاتِ خلعِهم من دينهم، وتذويبِهم في المجتمع الشيوعيّ، مثلما حدث مع المسلمين في آسيا الوسطى (تركستان الغربية) تحت الحكم الشيوعيّ السوفييتيّ، ولذا وَجَبَ التوقفُ أمام تاريخهم وما آلتْ إليه أوضاعُهم، «فمنْ لا يهتمُ بأمرِ المسلمين فليسَ منهم».

وقد التقيتُ عَبْرَ مَسِيرَتِي في العملِ الصَحَفِيّ التي تمتدُ لأكثرَ من أربعينَ عاماً في دول مُتعددة بهؤلاء القابضين على جمر دينهم تحت سطوةِ الحكمِ الشيوعيّ الصينيّ، والحكم الشيوعيّ السوفييتيّ السابق، واستمعتُ إليهم وإلى جوانبَ متعددةٍ في حياتهم تحت الحكم الشيوعيّ الجهنميّ الحاقد على الإسلام، وعلمتُ كيف أنّ هذا الحكمَ يَعُدُّ على الناس أنْفَاسَهم، ويُحرّمُ عليهم أداءَ الشعائرِ الدينيةِ، أو حتى امتلاك نُسخة من القرآن الكريم، واعتبار ذلك جريمةً يتمُّ العقابُ عليها بالسجن سنواتٍ طويلةً.

لذا أتناولُ بالتحليل مثلما فعلَ غيري ممن سبقوني من أساتذةٍ وعلماءَ -أداءً لواجب الإخوّة الإسلاميّة - أوضاعَ هؤلاء المسلمين المنسيين في هذه البلادِ، وفي هذا المقال أستعرضُ شئونَهم داخل الأراضي الصينية وفي تايوان وهونج كونج، وأواصلُ في مقالاتٍ قادمةٍ - إن شاءَ اللّهُ - تسليطَ الضوء على مُكوّناتٍ مسلمةٍ متعددةٍ في مناطقَ أخرى مُشابهة.

وقد لفتَ الإعلاميّ الكبير الدكتور عبد القادر طاش مؤسسُ قناة اقرأ ورئيسُ تحرير صحيفة «المسلمون» الأسبق - يرحمه الله - انتباهَنَا إلى الملفّ الذي خصّصته مجلةُ «السياسة الدولية» الصادرة عن مؤسسة الأهرام المصرية -عدد (أبريل ١٩٩٨م)، بعنوان: «الصينُ: إشكالاتُ الانتقالِ وتداعياتُ الإصلاحِ»، وتضمّن أربعَ عشرةَ مقالةً في حوالي ١٢٠ صفحةً لمتخصصين، تناولوا العديدَ من الجوانب السياسية، والأيديولوجية، والاقتصادية، للتجربة الصينية في الماضي والحاضر، مع نظرة عاجلة للمستقبل.

أهميةُ الحديث عن المسلمين في الصين:

كما تناولَ هذا الملفُ محوراً مُتكاملاً عن الأقليات الدينيّة في الصين، وخاصةً ما يتعلق بواقعِ المسلمين ومستقبلِهم، وقد ضمَّ هذا المحورُ مقالين، أحدهما للأستاذ أحمد منيسي، تحدّثَ فيه عن محاولات إعادة البحث عن الهُويّة بين الأقليات الدينيّة داخلَ الصين، قائلا: «إنّ المسلمين في الصين، ينتمون إلى ثلاثة أجناس: جنسٌ فيه الدمُ العربيُّ، وجنسٌ آخر يجري في عُروقه دمُ الأواغرة، وجنسٌ ثالث يجري فيه دمُ المغول، وهذه الأجناسُ تضمُّ عشرَ قوميات.

ويرى أ.منيسي (قبل سبعة وعشرين عاماً) أن لتناول موضوع الأقليات الدينيّة في الصين، أهميةً خاصةً، نظراً للموقف المُتشدد من النظام الشيوعيّ الحاكم ضد الأديان لفترة طويلة، كما أن القُدوم المُتوقَع للصين، كقوة رئيسة على الساحة الدولية (حدث)، يعرضُ ضرورةَ طرحِ موضوعِ الأقلياتِ الدينيّة بها، لبيان مدى ما يُمكن أن تُساهم به هذه الأقلياتُ في تدعيم الوضع الصينيّ أو إضعافه.

أول عَلاقة بالإسلامِ:

وسَلَّطَ الضوءَ على أول عَلاقة للصين بالإسلام قائلا: «إنّ ذلك حدث عَبْرَ أول مبعوث مسلم وصل إلى الصين عام ٣١هـ - ٦٥١ م، في عهد الخليفة عثمان بن عفان ﷺ، ثمّ توالت البعثات الإسلاميّة إليها، حتى بلغ عددُها ٢٨ بَعْثَةً خلال ٥٣ عاماً، في الفترة بين عامي ٣١ و١٨٤هـ، وقد تأسس أولُ مسجد للمسلمين في الصين عام ٧٤٢م، في مدينة «جانج آن» عاصمة الصين حينئذٍ، ويُقدّر عددُ المساجد في الصين الآن بنحو ٢٣ ألف مسجد، منها ٥٥ مسجداً في العاصمة بكين.

وأكدَّ أن استمرار تواصل الإسلام مع الصين تم عن طريق محورين، أولهما: برِّيٌّ جاء إليها من الغرب، وتمثّل في فتح تُرْكِسْتان الشرقية المُتاخمة لحدود الصين الغربية، وثانيهما: بَحْرِيٌّ، نقلَ الإسلامَ إلى شرقي الصين عبر رحلات التُّجار المسلمين.

ومنذ وصول الإسلام إلى الصين عام ٦٥١م- ٣١هجري، تعرّض لموجاتٍ من الصعود والهبوط في عصر أُسرة «تانج»، ثم أخذ ينتشر رُويداً رُويداً في عصر أسرة «سونج»، التي انقرضتْ عام ١٢٦٧م، ثم قَوِيَ الإسلامُ وازدهر في عصر أُسرة «يوان»، أو ما يُسمى بعصر حكم المغول، وذلك في الفترة من ١٢٧٧م إلى ١٣٦٧م، ويكفي أن نعلم أن بعض المصادر الوثيقة، مثل كتاب «جامع التواريخ» لرشيد الدين فضل الله، ذكر أن ثماني ولايات من اثنتي عشرةَ ولايةً في الصين في ذلك العهد، كان يحكمها حكامٌ مسلمون، وهذا بخلاف وزير المالية الذي كان يُسمى «شمس الدين» المُلقّب بـ «السيد الآجل»، ووزير الحربية «علي يحيى» الأويجوري.

ولكن النهضةَ التي شهدها الإسلامُ في ذلك العصرِ، تَبَدَدَ الكثيرُ من ثمارها في العصر التالي، «عصر المانشو»، ومع قيام الثورة الوطنية عام ١٩١١م، وتأسيس الصين الحديثة تمتّع المسلمون بحُريّة مُمارسة شعائرهم الدينيّة، وشاركوا في الحرب من أجل توحيد الصين، ولكن مع بداية الحُكم الشيوعيّ المُلحد، تعرّض المسلمون لموجات جديدة من الاضطهاد؛ بسبب موقف الشيوعية المعروف من الدين، واستمرت حالةُ الكبت هذه حتى أواخر سبعينيات القرن الماضي تقريباً، ثم بدأ عهدُ الانفتاح، فتنفّسَ المسلمون الصُّعَدَاءَ إلى حِين، حيثُ عادت الأوضاعُ لأجواء الكبت وسياسة القهر والعداء للأديان.

فرارٌ من أجواءِ الكبتِ:

وفي ظلِّ مَوْجاتِ الكبتِ والتنكيلِ التي شنّها النظام الشيوعيّ الصينيّ بين الحين والآخر، فرَّ آلافُ المسلمين من الصين إلى البلاد المجاورة: تايوان، وهونج كونج، التي وصلها الإسلامُ من قبلُ، ويعيش المسلمون فيها حالةً من الحُريّة والأمان إلى حد ما، فقد وصل الإسلامُ إلى تايوان عام ١٩٤٩م، عندما هاجر إليها ٢٠ ألفُ مسلم من الصين الشيوعيّة، ومع مَوْجات الفرار من الحكم الشيوعيّ الصينيّ، ازداد عددُ المسلمين المهاجرين إلى تايوان حتى وصل إلى أكثرَ من ٥٠ ألفاً، وقد تمتعوا

بوضعٍ أفضلَ، مقارنةً بإخوانهم داخل الصين، وساهموا في إدارة الحياة السياسيّة في تايوان من خلال عضوية المجالس التشريعيّة، ومجلس الوزراء والجيش.

أمّا جزيرة هونج كونج، التي عادت إلى السيادة الصينيّة مؤخرا، فقد وصلها الإسلامُ مُبكّراً عن طريق السِّفارات الإسلاميّة في القرن الأول الهجريّ، وتوالتْ هِجْراتُ المسلمين إليها من جُزر الهند الشرقيّة ومن الملايو، وتحولتْ إلى ملجأ للمسلمين الصينيين الذين فروا من البطش الشيوعيّ، وهو ما رفعَ عددَ مسلمي الجزيرة إلى أكثرَ من ٣٥ ألف نسمة، وقد تمَّ تأسيسُ عدد من الجمعيات الإسلاميّة، التي ترعى شؤونَ المسلمين هناك.

وبالعودة إلى المسلمين الصينيين على الأراضي الصينيّة، ينبغي أن نشير إلى أن الوجود الإسلاميّ في الصين لا يقتصر على القوميّة الصينيّة، فهناك قوميات أخرى لا تنتمي عِرقياً إلى الجِنس الصينيّ، تقطنُ في منطقة تُركستان الشرقية، التي تمَّ ضمُّها عَنْوَةً للدولة الصينيّة، وتسكن فيها قومياتٌ تركيةٌ عديدةٌ، يأتي على رأسها قوميةُ الأويغور، ثمّ القازاق، والقيرغيز، والأوزبك، والطاجيك، والتتار، وهو ما سنتناوله في إصدارات قادمة إن شاء الله.

٤

المسلمونَ في تُرْكِستانِ الشرقيّةِ
صِراعُ الهُويّةِ والاستقلالِ

خريطة تركستان الشرقية
ودول جوارها

يتوزّعُ مسلمو الصين وتُركستان (الشرقيّة والغربيّة) في الأراضي الصينيّة والسوفييتيّة قبل تفككِ الاتحاد السوفييتيّ في٢٥ديسمبر١٩٩١م،كمايتوزعون في المناطق المُتَاخِمَة لها والقريبة منها، ويعيش على هذه الأراضي مُكوّناتٌ وتجمعاتٌ سكانيةٌ مُتعددةٌ، تُمثّلُ في مُجْمَلِهَا ثِقلا جغرافيا، وديموجرافيا، واقتصاديا، واجتماعيا، إسلاميا مهما، يبلغ قِوَامُه أكثرَ من ١٣٨ مليون نسمة وفقاً لتِعداد ٢٠٢٢م.

ولو بقيتْ تُركستانُ مُوحّدةً دون تقسيمها إلى جزأين (باكستان الشرقيّة والغربيّة) لباتتْ قوةً ذاتَ نفوذ فاعل في السياسة الدوليّة والاقتصاد العالميّ، ولأضافتْ للمسلمين حول العالم قوةً كبرى يُمكن أن تُناظرَ الولاياتِ المتحدة، أو الصين، أو الاتحاد السوفيتي قبل تفككه، لكنّ الاتحادَ السوفييتيّ والصين الشيوعيتين اختطفا هذه القوةَ، وقاما باقتسامها بعد أن اتحدا عليها، وقاما بشنِّ حملاتٍ استعماريةٍ متتاليةٍ على أراضيها أسفرتْ عن اقتسامها بعد تمزيقها إلى قسمين: تُركستان الشرقيّة التي وقعتْ في قبضة الصين، وتُركستان الغربيّة التي احتلها الاتحادُ السوفييتيّ، وقام بتمزيقها إلى خمس دول هي: كازاخستان، وأوزبكستان، وتركمانستان، وقيرغيزستان، وطاجيكستان، وهي المُسماة حاليا بدول آسيا الوسطي، ويُضاف إليها المناطقُ المُتاخمة لها، وهي هونج كونج وتايوان.

وهكذا تمكنتْ الإمبراطورية الشيوعيّة ممثلةً في الصين والاتحاد السوفييتيّ قبل تفككه من التهام هذه الأراضي الإسلاميّة، بما فيها من ثرواتٍ ضخمة، واقتصادٍ قوي، وكتلةٍ سكانية كبيرة، وجعلوا منها وقودا لبناء إمبراطوريتهم الجديدة، ومارسوا على شعوبها حملاتٍ شرسة ومتواصلة من القهر والقتل والتفتيت والتذويب والتشريد داخل الإمبراطورية السوفييتية وداخل الأراضي الصينيّة، بُغيةَ إضعافِهم وجعلِهم صالحين فقط، للتخديم على بناء الدولة الصينيّة والإمبراطورية السوفيتيّة دون تمكينهم من بناء أي قوة ذاتية أو دولة مُوحّدة مُستقلة ترعى مصالحَهم وتنهض بهم كمسلمين، بل حوّلوهم إلى أقليات متناثرة مَهِيضَة الجَناح، تمَّ حشرُها في أعمال السُّخرة بعد حرمانها من التعليم، ومن امتلاك اقتصاد وأيّ أدوات لبناء دولة، هذا جانبٌ من المسلمين المنسيين الذين سادُوا الدنيا يوماً، ثمّ تكالبت عليهم قوى الاستعمار فأعملتْ فيهم آلةَ القهر والفقر والتخلف، ولذا وَجَبَ التوقفُ أمامَ تاريخِهم، وما آلتْ إليه أوضاعُهم.

مساجدها العريقة تشهد بتجذر الإسلام فيها

وفي الملفّ الذي خصّصته مجلةُ «السياسة الدوليّة» الصادرة عن مؤسسة الأهرام المصريّة -عدد (أبريل ١٩٩٨م)، بعنوان: «الصينُ: إشكالاتُ الانتقالِ وتداعياتُ الإصلاحِ»، وتضمّن أربعَ عشرةَ مقالةً في حوالي ١٢٠ صفحةً، لمتخصصين، تناولوا

العديدَ من الجوانب السياسيّة، والأيديولوجيّة، والاقتصاديّة، للتجربة الصينيّة في الماضي والحاضر، مع نظرةٍ عاجلةٍ للمستقبل، هذا الملفُّ تضمّن مقالا عِلميا عميقا عن «الصراع الصينيّ التركستانيّ ومستقبل تركستان الشرقيّة»، كتبه البروفيسور دكتور محمد حرب أستاذُ الدراساتِ التركيةِ في الجامعات التركية، وهو باحثٌ قديرٌ مُتخصصٌ في هذا المجال، ويؤكد فيه أن تُركستان الشرقية هي «دولةٌ تركيةٌ احتلتها الصينُ الشعبيةُ في القرن الثامن عشر الميلاديّ، وأطلقت عليها - قسراً - اسم سنكيانج، وهي كلمة صينية تعني المُستعمرَةَ الجديدةَ، وذلك بِمُوجب مرسوم رسمي قضى بتحويلها إلى مقاطعة صينية في ١٤ نوفمبر عام ١٨٨٤م.»

ويتناول الدكتور حرب بالتحليل قضيةَ الصراع بين الصين وتُركستان منذ أول غزو صينيّ للأراضي التركستانيّة عام ١٧٥٩م، والذي دام حوالي قرن كامل، إلى أن استطاع الشعب التركستانيّ الظفرَ باستقلال بلاده عام ١٨٦٥م، وبعد عشر سنوات، عادت الصينُ واحتلت تركستان الشرقيّة، ولكن التركستانيين تمكنوا مرة أخرى من طرد القوات الصينيّة من بلادهم في عام ١٩٣٣م، إلا أن مطامع الجارة الكبيرة روسيا (زمن الاتحاد السوفييتي: (١٩١٧-١٩٩١ أدت إلى سقوط تُركستان تحت الاحتلال الروسيّ بعد عام واحد من الاستقلال.

وأثناء الحرب العالمية الثانية، ضعفت روسيا، فانتهزت الصين الفرصة، واحتلت تركستان مرة أخرى، وقامت في عام ١٩٤٤م ثورةٌ عارمةٌ، انتهت بإعلان الاستقلال، ثمّ تحالفتْ روسيا والصين، ذواتا التوّجه والأيديولوجيّة الشيوعيّة فأسقطتا حكومة الاستقلال، وفي عام ١٩٤٩م، ثمّ اجتاحت القوات الصينيّة الشيوعيّة أراضيَ تركستان الشرقيّة، ومازالت تلك الأراضي في قبضتها حتى اليوم.

مخططُ «التصيين» الرهيب وتوقف البروفيسور محمد حرب أمام مخطط «التصيين» الرهيب الذي تنفذه الصينُ هناك، وتهدف من ورائه إلى توطين عشرات الملايين من الصينيين في منطقة تركستان الشرقية لِمَحْوِ هُويّتها

الإسلاميّة، وتحويلها إلى مُقاطعة صينيّة بالقوة، وقد بدأ ذلك المخططُ الجهنميُّ في السنوات الأولى لاحتلال الصين لتركستان الشرقيّة، والجرائم الوحشيّة التي ارتكبتها القوات الصينيّة بحق الشعب التركستاني، فقد احتلت الصين تركستان الشرقية عام ١٧٥٩م، وقتلت قواتُها حينها حوالي مليون مسلم، ومنذ ذلك التاريخ اتبعت الصين سياسةً استيطانيةً في تركستان الشرقية تُعرف بسياسة «تصيين تركستان الشرقية»، وخاض المسلمون حُروباً تحريرية عديدة أسفرتْ عن استقلال تُركستان الشرقية ١٨٦٥م، ولكنّها لم تحظَ باعتراف دَوْلِيّ، مما دفع الصينَ إلى احتلالها مرةً ثانيةً عام ١٨٧٥م، وواصل المسلمون حروبَهم حتى حققوا استقلالَ بلادهم عام ١٩٣٣م، لكن سرعانَ ما أسقطتْ روسيا هذه الجمهوريةَ الإسلاميةَ بعد عام واحد من قيامها، باحتلالها عام ١٩٣٤م، ونتيجة لتقدم الألمان في الأراضي السوفييتية أثناء الحرب العالميّة الثانية، تبدل الاحتلالُ الروسي للبلاد باحتلال صينيّ مرةً أخرى، ثم قامت ثورة تحرير بقيادة عَالِمِ الدين «علي خان» عام ١٩٤٤م، الذي أعلن استقلالَ تركستان الشرقية، فتحالفت روسيا والصينُ لإحباط هذا الاستقلال، وقام الروسُ وعملاؤهم باختطاف قائد هذه الثورةِ الإسلاميةِ، وأرغمتْ كلٌ من الصين وروسيا الوطنيين من التركستانيين على قبول صلح مع الصين مقابلَ الاعتراف بحقوقهم في إقامة حكومة من الوطنيين، لكن الصينَ انقلبت على وعودها، ونقضت العهد، وشنت حملاتِ اضطهادٍ داميةٍ على شعب تُركستان الشرقيّة.

ثم اجتاحت القواتُ الصينية الشيوعيّة تُركستانَ الشرقيّةَ عام ١٩٤٩م واحتلتها بعد مذابحَ رهيبةٍ، وكان قَدَرُ مسلمي تركستان الشرقية أنهم وقعوا بين أكبر قوتين شيوعيتين كبيرتين (روسيا والصين)، مما أدّى إلى مُعاناةٍ قاسية للمسلمين دامتْ قرنين من الزمان، لينتهي الصراعُ باحتلال الصين لتركستان الشرقية، وبدء مخطط إذابة هذا الشعب المسلم، في مُحيط بشريّ شيوعيّ ضخمٍ، حاول ابتلاعَه وسط عمليات اضطهاد بالغة، مما حَدَا بمئات أُلوف من مسلمي تُركستان الشرقية

إلى الهجرة لتركيا والسعودية ودولٍ إسلاميةٍ أخرى، هرباً من الاضطهاد الشيوعيّ البشع.

التصيينُ الثقافيُ والاجتماعيُ:

ولم يترك الحكمُ الشيوعيّ الصينيّ زاويةً من زوايا الفكر والثقافة إلا وعمل على توجيهها لخدمة أهدافه الاستعماريّة ومبادئه الشيوعيّة والإلحاديّة الهادفة إلى تذوّيب الهُويّة الإسلاميّة، فالمقالات والكتب تمتدح رموزَ الحكومة الصينية مهما كانت مواقفها واستبدادها لمسلمي تركستان الشرقية، وتُركّز أجهزةُ الإعلام على دعوة المسلمين لممارسة التقاليد الصينية البُوذية الاجتماعيّة، مثل المشاركة في احتساء الخمور، وتناول لحم الخنزير، والاختلاط بدعوى صداقة الشعوب واتفاقها واتحادها، وتشجيع الزواج المُختلط بين المسلمين والبوذيات، والمسلمات مع البوذيين، وتقديم مكافآت ماليّة ووظيفيّة لهما، واعتبار أيّ انتقاد لمثل هذا الزواج بالرغم من تحريم الإسلام له موقفاً عدائياً نحو الصينيين، ويدعو لإثارة الفتنة والاضطراب ضد الحكم الصينيّ، ومن يقف ضد هذا الزواج فمصيره السجن أيّاً كان.

وقد بدأت الصينُ عقبَ احتلالها الأخير لتركستان باستقدام مهاجرين صينيين بأعداد ضخمة، وتوطينهم فيها حتى يُصبح شعبُ تركستان الشرقية أقليةً، وهو صاحب الأرض وسطَ أكثريةٍ صينيةٍ شيوعيةٍ غريبةٍ ووافدةٍ عليه، واسترقَّ الصينيون الشعبَ المسلم، وألغوا المِلكية الفرديّة والمؤسسات الدينيّة وهدموا أبنيتَها، واتخذوا من المساجد أنديةً ومقاهٍ لجنود الاحتلال، كما استخدموا بعضَها دُوراً للسينما والمسرح، وأجبروا المسلمين على تربية الخنازير، والتزاوج مع الصينيين، وألغوا تدريسَ اللغة العربيّة والتاريخ الإسلاميّ من مناهجِ المدارس والمعاهد العُليا، واستبدلوا بها تاريخَ الصين واللغةَ الصينية، بهدف قتل روح الإسلام في النفوس، ويُمكن القولُ أن الثورة الثقافية في الصين، إنما قامت لتحطيم كل ما يُخالف الثقافة الشيوعيّة في النفوس، وإعلان أن الإسلام خارجٌ على القانون ويُعاقب كلُ مُتلبّسٍ به، وذلك جزء من مخطط إلحاديّ واسع لفرض الشيوعيّة فرضاً خبيثاً.

ورغم ذلك فإن الثوراتِ التي قام بها المسلمون في تُركستان الشرقية، وحرب الدفاع عن النفس والدين والهُويّة التي شنها شعبُ تركستان الشرقية من الجبال ضد القوات الصينية إنما قامت باسم الإسلام، كما أن الشهداء الذين سقطوا برصاص القوات الشيوعيّة إنما سقطوا وهم يُكبِّرون.

إن انتفاضاتِ شعبِ تُركستان الشرقية كثيرةً ومتعددةً، قدّم خلالها هذا الشعبُ المسلم آلافَ الشهداء سنويا، بالرغم من أن الصين تعمل على إخفاءِ أنباءِ هذه الانتفاضاتِ عن العالم.

مظاهرات مؤيدة لتركستان في اسطنبول

٥

مُسلمو «القِرم»
أيتامٌ على موائدِ اللئامِ.. الروسُ والأُوكران!

خريطة شبه جزيرة القرم

تُسابِق الأخبارُ الزمنَ في نقل أحداثِ الصراعِ الدائرِ في أوكرانيا، ذلك البلدُ الذي انفرطَ من عِقد الاتحاد السوفييتيّ ضمن منظومة الدول السوفييتية القديمة، لكنَّ روسيا التي مازالت تُصرُّ على وِراثة الاتحاد السوفييتيّ المُنفك في السيطرة على دول الاتحاد القديمة، تأبى أن تترك تلك الدولَ دون مُحاولة يائسة للاستحواذ عليها، ويزيد من حُمى مُحاولتها تلك اجتياح النفوذ الأمريكيّ لتلك الدول في صورة قواعد عسكرية واقتصادية، مقابل حِفنة من المساعدات أُغرقت بها معظمُ دولِ المنطقة؛ وذلك في مُقابل رحيل القواعد الروسيّة، حتى باتت روسيا منكمشةً داخلَ حدودها تقريباً، وتحاول اليومَ العودةَ، ولكنَّ محاولتها مازالت في خانة الفشل.

روسيا استيقظت من غفوتها، وتحاول التشبثَ بما بقي من نفوذها في أوكرانيا، بعد ما باتت القواعدُ العسكريةُ الأمريكيةُ تُغْرِقُ دولَ آسيا الوسطى، بل

وتكادُ تدّقُ أبوابَ موسكو؛ وذلك ما أشعلَ الصراعَ الساخنَ هناك مع الولايات المتحدة الأمريكية على توليّة النظامِ التابعِ لأيّ منهما في أوكرانيا.كان هناك رئيسٌ تابعٌ لموسكو، ثم حدثت مظاهراتُ الثورة البرتقالية، (ثورة شعبية اندلعت في ٢٢ نوفمبر ٢٠٠٤ م، واستمرت حتى ٢٣ يناير ٢٠٠٥م) في أعقاب جولة إعادة التصويت على الانتخابات الرِئاسيّة؛ للمطالبة بوقف التدخل الروسيّ في شؤون البلاد، ولمحاربة الفساد الماليّ والإداريّ والسياسيّ.

وقد أسفرتْ هذه الثورةُ الشعبيةُ عن انتخاب رئيس تابع لواشنطن، ثمّ اشتغلت الثورةُ المضادةُ لتعيد النظامَ القديمَ؛ فانفجرت مظاهراتٌ أخرى أعادت النظامَ المُنْتَخَبَ؛ فأسرعت روسيا لمحاصرة أوكرانيا، وضمت إليها بالقوة شِبه جزيرة «القِرم»، وسيطرت البحريةُ الروسيةُ على سَبْعِ قطع بحرية أوكرانية، كما احتلت قاعدةً عسكريةً أوكرانيةً هناك، سعياً لإنهاء الوجود الأوكرانيّ هناك، وتهديد أوكرانيا في عُقْرِ دارها.

إحدى الفعاليات النسائية

وبهذا انتقلت تبعيةُ شِبه جزيرة «القِرم» من النفوذ الأوكرانيّ إلى النفوذ الروسيّ، وباتت أشبهَ بِكُرَةٍ يتقاذفُها المتصارعون عليها، وهي في الحقيقة أرضٌ

إسلاميّةٌ، ظل المسلمون يُشكّلون غالبيةَ سُكانها لقرون، وبات أهلُها كأغلبية الشعوب المسلمة في دول الانفكاك السوفييتيّ كالأيتام على موائد اللئام، مثل: منطقة القُوقاز (الشِيشان والأنْجُوش.. وغيرهما)، ودول آسيا الوسطى (أذْرِبِيجَان، وطاجِيكستان، وأوزبَكستان، وقِرْغِيزستان.. وغيرها)، لا حول لهم ولا قوة، بينما يتبادل السيطرةَ عليهم النفوذُ الروسيّ الأمريكيّ أو كلاهما.

من أقدمِ الأماكنِ في التاريخِ:

وتُعدُّ شِبهُ جزيرة القِرم التي تُقدّرُ مساحتُها بـ ٢٦ ألف كيلومتر مربع، ويبلغ عددُ سُكانها حوالي مليوني نسمة؛ وفقا لإحصائيات عام ٢٠٢٣ بحسب مجلس الاتحاد الفيدراليّ الروسيّ، تُعدُّ من أقدم الأماكن في التاريخ، فقد بدأ الاستيطانُ البشري فيها منذ حوالي ألف عام قبل الميلاد، وكانت قبائلُ مختلفةٌ ترتادُها عبر التاريخ، وخاصةً من المناطق الداخلية من آسيا، ويُذكر أن السيميريين أول مَنْ استوطَنَهَا، وفي القرن السابع قبل الميلاد احتلّ السكيثيون منطقةَ السهوبِ.

معنى كلمة «القِرم»:

واسم «القِرم» أطلقه التتارُ على شِبه الجزيرة إبّانَ حُكمهم، وكلمة « القِرم» كلمة تركية تعني «القلعةَ» أو «الحصنَ»، وقد يكون مُشتقاً من التضاريس الطبيعية الوَعِرَةِ لشِبه الجزيرة التي تُشبه الحصنَ.

كانت تُعرف باسم توريكا «Taurica» من قبل الإمبراطوريتين اليونانية والرومانية، نسبة إلى قبائل التور «Taurians» إحدى القبائل السيميرية التي استوطنتها منذ عصور ما قبل التاريخ.

وكانت تُسمى «تافريدا» كما حملت اسمَ «اق مسجد» أي «المسجد الأبيض» بلغة تتار القِرم (مسلمون) وذلك قبل أن يستوليَ عليها الروسُ في نهايات القرن الثامن عشر (عام ١٧٨٣م) وعاصمتها مدينة «سيمفروبول». ووفق تفسير المؤرخ

د. محمد صبحي عبد الحكيم، فإن تسميةَ «القِرم» تسميةٌ تتريةٌ تعني «القلعةَ»، وكانت تضمُّ مناطقَ ما يسمى الآن شِبه جزيرة القِرم، أما تسميةُ «التتار» فهي تسميةٌ لاحقةٌ ولا عَلاقةَ لها بالمغول التتار.

عائلة القِرم:

وأصلُ عائلة القِرم أو التتار القِرميّون أو تتار القِرم بالقرميّة، هم مجموعةٌ عِرقية وشعبٌ تركيٌّ من أوروبا الشرقية، وهم السكان الأصليون لشِبه جزيرة القِرم.

وبعيدا عن ذلك، ولكن تشابه في الأسماء يهمنا ذكر «إمارة بني قرمان» وهي دولة إسلامية نشأت عام ١٢٥٠م جنوبي الأناضول، حكامُها من أصول أرمنيّة، حيثُ أسسها «نوري الصوفي» الذي اعتنقَ الإسلامَ، وتوالى على حكمها سلالته من بعده، وقد اتُخذت التركية (المكتوبة في ذلك العهد بالأبجدية العربية) لغةً رسميةً للدولة.

ويعود نسبُ القرمانيين إلى «خُوجة سعد الدين» وابنه «نوره صوفي»، الذَيْنِ هاجرا من أذربيجان إلى سِيواس، وقد انتقل من هناك إلى غرب جبال طُوروس، بالقرب من بلدة لارنده، حيث عَمِلَ حطّاباً منتصف القرن ١٣ الميلاديّ.

وفي اللغة: القِرم من الرجال هو السيد المعظم، مثلما قال الشاعر:

وجـاعـلـه يـــومَ الـلـقـاءِ تـحـيـتي وإلاّ فلستُ السيدَ البطلَ القرما

جغرافيّاً: هي شِبه جزيرة، وهي جمهورية ذاتُ حُكم ذاتيّ كانت تابعة لأوكرانيا سابقا، ثم ضمتها روسيا إليها عُنوة عام ٢٠١٤ م وعاصمتها هي سيمفروبول.

وتاريخيّاً: ارتبط هذا الإقليمُ بالعثمانيين خلال دولة «خانات تتار القِرم» التي تأسست عام ١٤٣٠، واستمرت لنحو أربعة قرون قبل أن تُسقطها الإمبراطورة «كاترين الثانية» عام ١٧٨٣م، ثم شرعتْ بعد ذلك بتهجير أعداد كبيرة من مواطنيها الرُوس إلى هناك.

وبعد سقوط خانية القِرم (الخَانِيَّة أو الخَاقَانِيَّة: هي كِيان سياسيّ يحكمه خان، ويُكافِئُ من حيثُ المفهوم الإمارة أو القبيلة أو المشيخة أو الإمبراطورية)، وخضوع المنطقة لسيطرة الإمبراطوريّة الروسيّة في نهاية القرن الثامن عشر، حاولت روسيا تغيير الاسم مرةً أخرى إلى «توريكا»، ولكن اسم «القِرم» ظلَّ مُستخدَما بشكل غيرِ رسمي.

إمارةُ قرمان: هي دولة إسلامية نشأت عام ١٢٥٠م جنوبي الأناضول، حكامها من أصول أرمنيّة، ولا عَلاقة لذلك بكلمة القِرم سوى تشابه الأسماء، حيثُ أسسَ تلكَ الإمارةَ «نوري الصوفي» الذي اعتنق الإسلامَ، وتوالى على حكمها سلالته من بعده، وقد اتُخذتْ التركية (المكتوبة في ذلك العهد بالأبجديّة العربيّة) لغةً رسميةً للدولة.

ويعود نسبُ القرمانيين إلى «خُوجة سعد الدين» وابنه «نوره صوفي»، الذَيْنِ هاجرا من أذربيجان إلى سِيواس، وقد انتقل من هناك إلى غرب جبال طُوروس، بالقرب من بلدة لارنده، حيث عمل حطّاباً منتصف القرن ١٣.

حرب القِرم (١٨٥٣م - ١٨٥٦):

وغنيٌ عن البيان، هنا تجدرُ بنا الإشارةُ إلى نُشوب ما يُسمى حرب القرم التي استمرت ثلاث سنوات (١٨٥٣م - ١٨٥٦) بين روسيا والدولة العثمانيّة، وبمعنى آخر هي حرب نشبتْ بين الإمبراطوريّة الروسيّة والدولة العثمانيّة في ٤ أكتوبر ١٨٥٣ ؛ بسبب الأطماع الإقليمية لروسيا في أراضي الدولة العثمانيّة، وخاصة في شِبه جزيرة القِرم التي كانت مسرحَ المعاركِ والمواجهاتِ، واستمرت حتى ٣٠ مارس ١٨٥٦م بتوقيع اتفاقية باريس وهزيمة الروس١٨٥٦م، وقد شاركت فيها مصر و تونس وبريطانيا وفرنسا عام ١٨٥٤م إلى جانب الدولة العثمانية التي كان قد أصابها الضعفُ، ثم لحقتها مملكةُ سِردينيا التي أصبحت عام ١٨٦١م مملكة إيطاليا.

التركيبةُ السكانيةُ:

واليوم، تتكون التركيبةُ السكانيةُ من عدة مجموعات عِرقية: روس: ٥٨,٣٢٪؛ أوكرانيون: ٢٤,٣٢٪؛ تتار القرم: ١٢,١٪؛ بيلاروس: ١,٤٤٪؛ تتار: ٠,٥٤٪؛ أرمن: ٠,٤٣٪؛ يهود: ٠,٢٢٪, يونانيون: ٠,١٥٪ وآخرون.

وكما هو واضح يشكل الروس أغلبية السكان في «القرم»، ولكن هناك أقليات لا بأس بها من الأوكرانيين والتتار تسكن المنطقة أيضا، ويمثل تتارُ القِرم المسلمون نحو ١٢ ٪ من سكان شِبه جزيرة القِرم، ويبلغ عددُهم نحو ٢٤٣ ألف نسمة من عدد السكان البالغ مليوني نسمة.

المسجد الجامع

الأهميةُ الاستراتيجيةُ للجزيرة وبحر آزوف:

وتتمتع شِبهُ جزيرة القِرم بموقع استراتيجيّ مُهم في البحر الأسود، وتمتلك مدخلاً إلى مضيق البوسفور والبحر المتوسط، وهي تقع شرقَ القارةِ الأوروبيةِ في شمال البحر الأسود إلى الجنوب من أوكرانيا، ويحيط بها البحرُ الأسودُ من الجنوب والغرب، ومضيق كيرتش من الشرق وبحر آزوف، ذلك البحرُ الصغيرُ

الذي تصب فيه كمياتٌ كبيرةٌ من المياه العذبة، وهوبحر متفرع من البحر الأسود في جزئه الشمالي ويقع بين روسيا وأوكرانيا، ويكتسب أهميةً استراتيجيةً كبرى رغم صِغره، إذ يُعدُّ ممراً حيوياً لاقتصاد كل من أوكرانيا وروسيا، لكنه أصبح بحرًا داخليًا تابعًا لروسيا في عام ٢٠٢٢م بعد استيلاء روسيا على مناطق جديدة من أوكرانيا: خيرسون، وزابوريزهيا، ودونيتسك، وهكذا بعد أن كانت روسيا تطمح في السيطرة على الساحل الغربي لبحر آزوف بات مِلكا لها، وتحقق منه كل منافعها الاقتصادية، بينما تمَّ حرمانُ أوكرانيا من أية مَيزة، ولعل ذلك من أسباب تعقيد حلّ الصراع الدائر حاليا بين روسيا وأوكرانيا.

وتجذب شِبهُ جزيرة القِرم الانتباهَ بمناظرها الخلّابة وطبيعتها الفريدة من نوعها، وما تزخر به من ثروة من المَعَالم التاريخية والثقافية؛ التي أهلّتها لتكون مركزَ جذب سياحيّ محليّ وعالميّ في شمال البحر الأسود.

قصتُها مع الإسلامِكان التتارُ المسلمون يشكلون غالبيةَ سكان القِرم في مطلع القرن العشرين، ولكنّ الحروبَ التي شهدتها المنطقةُ وسياسات الحُكم الشيوعيّ السوفييتيّ بقيادة جوزيف ستالين (١٨ ديسمبر ١٨٧٩ م - ٥ مارس ١٩٥٣ م) القائمة على النفي والتهجير للمسلمين في الاتحاد السوفيتيّ السابق بصفة عامة -وليس في جزيرة القرم فقط - وإحلال ذوي الأصول الروسيّة مكانهم، حوّلت التتار إلى أقلية، ولعل ذلك يدعونا إلى التطرق إلى قصتها مع الإسلام، ففي حوار أجراه معه الزميل شادي الأيوبيّ من أثينا يشرح «سيران عريفوف»، رئيس الهيئة التشريعية في اتحاد المنظمات الاجتماعيّة «الرائد» في أوكرانيا، وعضو الإدارة الدينيّة لمسلمي القِرم قصتها مع الإسلام قائلا:

«دخل الإسلامُ شِبهَ جزيرة القِرم في النصف الأول من القرن العاشر الميلادي عن طريق الرَحَالَةِ والتجارِ المسلمين».

وقد قامت على أراضيها مملكةٌ قِرميّةٌ تتريّةٌ مسلمةٌ، توالى على حكمها خمسون خاناً (حاكما)، وباتت في عام ١٤٧٤م حليفاً للدولة العثمانيّة، واستمر هذا التحالفُ حتى عام ١٧٧٤م (ثلاثة قرون)، بعدها ضعُفت الدولة العثمانية، ودخلت في حروب عديدة مع روسيا انتهت بإدخال شِبه جزيرة «القِرم» تحت الوصاية الروسية، بعد توقيع اتفاقية «كوجك قينارجه» بين روسيا والدولة العثمانية، ونصّتْ تلك الاتفاقيةُ على منح «القِرم» استقلالاً ذاتياً عن الدولة العثمانية عام ١٧٧٤م.

بدايةُ الوجودِ الروسيّ.. بدايةُ تشرّيدِ جميعِ المسلمين:

بعد توقيع اتفاقية «كوجك قينارجه» بدأ الوجودُ الروسيُّ في الظهور للمرة لأولى في شِبه جزيرة القِرم، ولكنّ الروسَ بقيادة الإمبراطورة «كاتيرينا الثانية» أخلّوا بالاتفاقية، واحتلوا الجزيرةَ بعد عشر سنوات من توقيع تلك الاتفاقية (عام ١٧٨٣م)، وأحرقوا ودمروا عاصمتها «سيمفروبول» ونحو ٢١ ألف مَعْلَمٍ إسلاميّ، بين مسجد ومدرسة وكُتّاب وغيرها، تعرّض معظمُها للتهديم، كما تعرّض أهلُها المتواجدين على أرضها للتهجّير، أو بمعني أوضح «للتشريد»، بعد أن مُورست ضدّهم شتى أنواع العنف والتمييز، كان أعنفُها على يد «ستالين» في ١٨ مايو ١٩٤٤م، عندما قام بتهجير جميع السكان المسلمين (حوالي ٣٠٠ ألف مسلم جُلّهم من الشيوخ والأطفال والنساء)، إلى آسيا الوسطى وسيبيريا، حيث درجات الحرارة المنخفضة تحت الصفر، في عربات قطار مُخصصة لنقل الحيوانات، وتحت قسوةِ البردِ القَارِسِ الذي قضى على عشرات الآلاف منهم، وتواصلت هذه المُمارسات الوحشيّة ضد المسلمين حتى باتوا أقليةً في بلادهم.

محو الهُويّة..وإمعانا في محو الهُويّة القِرميّة تمّ تغيير ٨٠٪ من أسماء المدن والقرى والبلدات القِرميّة الأصيلة إلى أسماءَ روسيّةٍ، وفي نفس الوقت جرى الإمعانُ في تغيير التركيبة السكانيّة ذاتِ الأغلبية المسلمة، باستجلاب الروس والأوكرانيين للعيش في القِرم بدلاً من التتار (المسلمين) الذين صُودرتْ أراضيهم

وممتلكاتُهم بُعيد تهجيرهم من أرضهم، لتصبح نسبة المسلمين هناك أقليةً بعد أن كانوا أغلبيةً، وبعد أن جرّد الحكمُ الشيوعيُّ هذه البلادَ من هُويتها الإسلامية.

ومع بداية انهيار الاتحاد السوفييتي عام ١٩٩١م، بدأ التتار بالعودة التدريجية إلى القرم ليجدوا أنفسهم أقلية (٢٠٪ من السكان)، وليجدوا بيوتَهم قد سُكنتْ من قِبل الرُوس، فسكن معظمُهم في قرى السهول والجبال النائية التي تفتقر إلى البِنية التحتية الأساسية» انتهى كلام الأستاذ «سيران عريفوف».

إنَّ قصة المسلمين في شبه جزيرة القرم تُجسّدُّ مِحنةَ المسلمين عبر التاريخ في شتى بقاع الاتحاد السوفييتيّ المُنفكِّ، والتي تحاول روسيا تكرارها اليوم مع المناطق والمُكوّنات الإسلاميّة الضعيفة داخلها، كمنطقة القوقاز، وينازعها في ذلك النفوذُ الأمريكيُّ المتنامي هناك، وهي في نفس الوقت تحكي قصةَ حروب الإبادة ضد المسلمين عبر التاريخ في شتى بِقاع الأرض، وما يجري اليوم في فلسطين المحتلة وكشمير وبورما وأفريقيا الوسطى وغيرها هو استمرار لنفس المسلسل، بل إن ما يجري في سُورية ومصر والعراق يُمثّل وجهاً آخر لنفس الصورة، لكنه ينطلق نحو نفس الهدف.

مراجع:

- يلماز أوزتونا: تاريخ الدولة العثمانيّة- منشورات مؤسسة فيصل للتمويل- تركيا- الطبعة الأولى ١٩٩٠م.
- أحمد عبد الرحيم مصطفى: في أصول التاريخ العثمانيّ بيروت دار الشروق١٩٨٦.
- عمر عبد العزيز عمر: أوروبا ١٨١٥ - ١٩١٩ - بيروت- دار المعرفة الجامعيّة - ١٩٩٠
- تاريخ الشرق الأوسط الحديث جورج سلامة.

٦

أبخازيا..
أرضُ الروحِ.. لؤلؤةُ البحرِ الأسودِ

موقعها على البحر الأسود

يسمّيها أهلُها «أباد نمل» أي: «أرضُ الروحِ» لأنّها تُمثّل قطعةَ منهم، لاتنفكُّ عن أرواحهم التي قدّموها دائما فداءً لها.

ويسمّيها الروسُ الذين يُسيطرون عليها فعليا اليوم «لؤلؤةُ البحرِ الأسودِ» لجمالِ طبيعتها، وطِيبِ هوائها، وموقعِها الفريدِ على البحر الأسود، ما جعلها منطقةَ جذبٍ سياحي.

و«الأبخاز» أو «الأباظة» هو الشعب الذي يقطنُها، والذي ذاع صِيتُه، وفرّقته الحروبُ والمحنُ التي أنزلها به المستعمرون الطامعون من دُول الجِوار مثل: جورجيا ثم روسيا، وسَبَبَ ذلك تشريدَه في بلادٍ شتى، فكوّن فيها عائلاتٍ يُشار إليها بالبَنان، وأبرزُهم عائلة «الأباظة» في مصر، تلك العائلةُ المشهورةُ بالانخراط في السياسة والتجارة والأدب معاً، مُشارِكَةً بذلك في امتلاكِ مفاتيحِ إدارةِ الحياةِ سياسياً، واقتصادياً، وثقافياً.

بدايةُ الظُهورِ.. وعلاقتُهم بالدينِ

والعَلَاقَةُ بين الأرض والشعب تَضْرِبُ بجذورها إلى ما قبل التاريخ، فقد كان الأبخازُ- وِفْقَ علماء التاريخ - هم أول من سَكَنَ هذه الأرضَ في القرن الخامس قبل الميلاد، ولذلك تسمّتْ باسمهم، ومنذ ذلك التاريخِ تتابعتْ على بلادهم الغزواتُ الاستعماريّةُ، وقاومها ذلك الشعبُ صانعاً ملاحمَ بطوليةً متتابعةً، بما يُنْبِئُ عن ارتباط هذا الشعب بأرضه ارتباطاً روحيا وتاريخيا، وقدّم في سبيل ذلك تضحياتٍ كبيرةً.

وفي القرن السادس الميلاديّ (عام ٥٣٣م) كانت المسيحيةُ هي ديانةُ أهلها الرسمية، بعد أن غزاها الرومانُ ثم البيزنطيين، ثم عرفتِ الإسلامَ عندما وَصَلَهَا في نهاية القرن السابع الميلاديّ، وترسختْ جذورُه عندما كانت الدولةُ العثمانيةُ في أوْجِ قوتها.

وظلت أبخازيا هكذا حتى منتصف القرن السادس عشر الميلاديّ، عندما ضمتها دولةُ الخِلافة الإسلاميّة ضمن فتوحاتها لمنطقتي آسيا الوسطى والبلقان، وانتشر الإسلامُ فيها بين كل الطبقات، حيثُ دخل الناسُ في دين الله أفواجاً، وظلّت الدولةُ الإسلاميةُ قائمةً فيها حتى أُصيبت الدولة العثمانية بالضعف والتفكك في بداية القرن العشرين، وتم تقسّيم أملاكِها بين الطامعين من قِوى الاستعمار.

نكبةُ العهدِ الشيوعيّ:

وفي العهد الشيوعيّ المُلْحِد (١٩٢٢م - ١٩٩١ م) خضع الأبخازُ «الأباظة» في ثلاثينيات القرن العشرين - كغيرهم من الشعوب المسلمة في الأراضي والدول التي ضمها وحكمها الاتحاد

السوفييتي - خضعوا لسياسات تفتيتِ الأوطان، وتمزيقِ الشعوب المسلمة

غَبْرَ التهجّير القسريّ والنفي والتوطين في أراضٍ أخرى غير وطنهم، وسط حملات من التنكيل المتواصلة التي مارسها «جوزيف ستالين» أحد عُتاة الاتحاد السوفييتيّ، وهو ما أدى إلى هدم خريطة أبخازيا الديموجرافية، بعد تمزيقِ شعبها المسلم وتشتيتِه وإعادِة تشيكله من جديد، ليصبحَ أقليةً مَهِيضَةَ الجَنَاحِ، منقوصةَ الحقوقِ، بعد أن كان أغلبيةً وسيداً على أرضه، وهو ما حدث في باقي الجمهوريات الإسلامية السوفييتية، ومثلما يحاول الصهاينُة تحقيقَه اليوم في غزةَ بدعم من الاستعمار الأمريكي، فقد دفعت الحكومةُ المركزيةُ الشيوعيةُ بأعداد كبيرة من الرُوس والأرْمَنِ والجورجيين إلى أبخازيا؛ ليحلّوا محلَّ مَنْ تمَّ نفيهُم خارجَ أبخازيا من السكان الأصليين المسلمين، حتى صار المسلمون أقليةً في بلادهم بعد أن كانوا الكثرةَ الغالبَة، فعلى سبيل المثال، كان الأبخازُ يمثلون٨٥٪ من السكان في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلاديّ، لكنهم صاروا يشكّلون ١٧٪ فقط مقابل ٤٣٪ جورجيين و١٦٪ من الروس، وبقية النسبة من أعراقٍ وجنسياتٍ أخرى.

وهكذا تقلّص تِعداد الأبخاز فأصبح مائةَ ألف نسمة فقط - وِفْقَ إحصاءات جورجيا - وباتوا يعيشون وسطَ غابة من الجِنسيات الأخرى، تتوزع خريطتُهم السكانية التقريبية كالتالي:

- ١٠٠ ألف من الأباظة الأبخاز.
- ٢٩٣٠٠٠ ألف من الجورجيين. ٧٦٠٠ ألف من الأرمن.
- ٧٥٠٠٠ ألف من الروس.
- ١٥٠٠٠ من الأروام.
- ١٨٠٠٠ ألف من الأتراك.
- ٢٠٠٠ ألف من الروس البيض.
- ١٥٠٠ من اليهود.
- ١١٠٠ تتري.
- ١١٠٠٠ من الأوكرانيين.
- ٥٠٠٠ قوميات أخرى.

فقد شتت النظامُ الشيوعيُّ مُعظمَ الشعب الأبخازيّ المسلم إلى سيبيريا في شمال الاتحاد السوفييتي، وإلى مصرَ والأردنِ وتركيا وسوريا، ويكفي أن نعلم أنه يعيش منهم في تركيا وحدَها أكثرمن ٣٠٠ألف أبخازيّ.

أحد شواطئها على البحر الأسود

إحراقُ الإرشيفِ الوطنيّ ومعهدِ الأبحاثِ:

وقد ركّزت حملةُ التشتيت والتذويب للشعب الأبخازيّ المسلم على المُثقفين - بصفة خاصة -لأنّهم يُمثّلون عقلَ الشعب وذاكرتَه التي تحملُ قضيتَه، وتعبّرُ عنها، وتُشكّلُ إرادتَه، وتقودُه إلى النضالِ من أجل الاستقلالِ.

وإمعاناً في طمسِ الهُويّة الإسلاميّة، واندثارِ التاريخ الحقيقيّ، قامت جورجيا بإحراق الأرشيفِ الوطنيّ، ودارِ المُتْحَفِ الوطنيّ، ومعهدِ الأبحاث العلميّة واللُغَويّة، في محاولةٍ لقطع جذور هذا الشعبِ المسلمِ بتاريخِه الحقيقيّ.

من جهةٍ أخرى، ففي عام ١٩١١م، تحالفت جورجيا مع روسيا لممارسة ضغوط شديدة على أبخازيا؛ للموافقة على تشكيل اتّحاد فِيدراليّ مع جُورجيا، وفي عام ١٩٢١م، أيّ بعد أربع سنوات من قيام الثورة البُلْشِفِيّةِ الشيوعيّة، قرر الدكتاتور السوفييتيّ

«جوزيف ستالين» (الجورجيّ الأصل) بمساعدة وزير داخليته «بيريا» ضمّ أبخازيا إلى جورجيا عَنْوةً وعلى غير رغبة من أهلها، وكانت الشيوعيّةُ الصاعدة في ذلك الوقت في أوْجِ قوتها، وأَخَذَ قادةُ الاتحاد السوفييتيّ يُنفّذون مُخطَطَهم؛ لتغييرِ هُويّة الجمهوريات الإسلاميّة الكبيرة بزرع الشيوعيّة بين شعوبها، والعملِ بإصرار على مَحْوِ هُويّتهم، وفي الوقت نفسه قامت بتفتيتِ الكُتل السكانيّة المُسلمة الكبيرة، وتوزيعِها في أماكنَ متفرقةٍ متباعدةٍ، وتمَّ إلحاقُ الكِيانات المسلمة الصغيرة، مثل أبخازيا وغيرها بالدول الكبيرة؛ ليتمَّ تذويبُها ومَحْوُ هُويّتها، وقد صبَّ كلُ ذلك في مَحْوِ الوجود الإسلاميّ من هذه المنطقة، وقد نجحَ ذلك المُخطَطُ في بعض المناطق، ولكنّه فَشِلَ في مناطقَ أخرى.

وفي إطار هذا المخطط، كان نصيبُ أبخازيا الإلحاقَ بجورجيا؛ لتضيفَ إليها مساحةً جديدةً مع إقليمي أوسيتيا الجنوبية ووادجاريا اللذين تتكون منهما الأراضي الجورجية.

رفضُ الاستسلامِ والإصرارُ على الاستقلالِ:

لكنْ بالرغم من كلِّ ذلك لم يستسلمِ الأبخازُ للتفريط في هُويّتهم أو دولتهم، ولم ييأسوا من الدفاع عن بقائِها حيّةً على خارطة الكون، وحيّةً على المسرح السياسيّ، فقاوموا الضمَّ إلى جورجيا، ورفضُوا الاحتلالَ الجُورجيَّ، وطالبوا بالاستقلال التامّ، وقد كلفَهم ذلك الكثيرَ، فواجه قادتُهم السجنَ والنفيَ والقتلَ في سجون سيبيريا على أيدي القوات السوفيتية، خاصة في عهد سِتالين (صاحبُ الحملاتِ الأشدِّ قسوةً ضد المسلمين في الجمهوريات الإسلاميّة عموماً).

وفي عهد «خروشوف» هبَّ المسلمون الأبخازُ مرةً أخرى؛ للمطالبة بحقهم في الاستقلال، لكنَّ السلطات السوفيتيّة ردت عليهم بحملة أكثرَ وحشيةً، حتى قضتْ على حركتهم.

وهكذا، قُوبلتْ أيُّ تحركات للأبخاز على امتداد ستة وستين عاما (١٩٢٦- ١٩٩٢م)، للمُطالبة بالاستقلال بالقمع الوحشيّ، كما قُوبلت أيُّ مُطالبة بالحقوق المَشروعة بالرفض التامّ، والتهديد بالانتقام.

وتُعدُّ الحربُ التي شنتها جورجيا على أبخازيا، بتحريض، ودعم من الاتحاد السوفييتيّ بين عامي ١٩٩٢م - ١٩٩٣م من أعنف الحروب التي استهدفت أبخازيا، وتمَّ خلالَها تهجيرُ مَوْجَاتٍ جديدةٍ ممن تبقى من الشعب الأبخازي، وطالتْ أكثرَ من نصف السكان الذين كان يُقدّر عددُهم عام ١٩٨٩م ب ٥٢٥,٠٦١ نسمةً، وتناقصَ هذا العددُ حتى بلغَ أقلَّ من ربع مليون نسمة، وبات وضعُ المسلمين في الخريطة السكانيّة في أدنى مستوياته، وتحولوا إلى أقليّة، فوفقًا لمسح اجتماعي تمَّ عام ٢٠٠٣م، يَعْتَبِرُ ١٦ ٪ من سكان البلاد أنفسَهم مسلمين، ووفقًا لتِعداد عام ٢٠١١م، عَرَّفَ ١٠٪ منهم أنفسَهم كمسلمين، ولا حولَ ولا قوةَ إلا بالله.

الأرثوذكسيةُ والوثنيةُ الجديدةُ:

وباتت غالبيةُ السكان اليومَ من مُعتنقي الديانة المسيحيّة الأرثوذكسيّة، بينما تتزايد أعدادُ مُعتنقي ما يُسمى «الوثنيّة الأبخازيّة الجديدة أو الحديثة» والمعروفة أيضا باسم «الوثنيّة المعاصرة»، وهي عبارةٌ جامعةٌ لحركاتٍ دينيةٍ جديدةٍ متأثّرةٍ بالعقائدِ الوثنيّةِ في أوروبا القديمة، شهدتْ إحياءً في تسعينيات القرن الماضي، و لم يزلْ تأثيرُها قويًّا.

ومن الناحيّة السياسيّة، لم تتمكن أبخازيا من الحصول على الاعتراف الدَوْلِيّ الكامل باستقلالها، فمازالت لا تمتلك مقوماتِ الدولة، ولم يعترفْ باستقلالها حتى اليوم سوى خمسِ دولٍ فقط هي: روسيا، وفنزويلا، ونيكاراجوا، وناورو، وسوريا؛ وهي الدول التي يمكنُ السفرُ إليها والعودةُ منها بجواز سفر أبخازيّ، أما الوجْهات الأخرى من العالم فيتمُّ السفرُ إليها بجواز سفر روسيّ، سمحت به روسيا التي مازالت تطمح في وِراثة الاتحاد السوفييتيّ القديم في النُفوذ والمكانة

بين الدول والكِيانات التي انفكت من هذا الاتحاد، ولذلك فهي تسيطر -عمليا على حدود واقتصاد وجيش أبخازيا بشكل كامل، و تُغطي المساعداتُ الماليةُ الروسيةُ ما يقرب من ٨٠٪ من ميزانية أبخازيا، و تُشرف القواعدُ العسكريّة الروسيّة، وضباطُ جهاز الأمن الفِيدراليّ الروسيّ على الأمن، مما يَحُدُّ من قُدرة أبخازيا على العمل باستقلاليّة كاملة.

حالةٌ نادرةٌ..استفادَ منها السوريون:

وتُعدُّ أبخازيا بهذا الوضع حالةً نادرةً بين الدول، فهي من جانب أعلنت استقلالَها، لكنّها لم تحظَ بالاعتراف الدوليّ الكامل، ومن جانب آخر تُدير أمورَها وتُسيّر شئونَها اليومية بنفسها، لكنَّ النفوذَ الروسيَّ، يُسيطر عليها بصورة كاملة، هي إذاً شِبه دولة مُستقلة تعيش حالةً سياسيةً نادرةً، وتجتهدُ في زيادة عدد سكانها مُقدّمَةً العديدَ من الامتيازات في هذا الجانبِ، ولعلَّ السوريون هم الأكثرُ استفادةً من هذه الامتيازات، ففي الوقت الذي كانت العديدُ من الدول الأوروبيّة ترفض - أو على الأقل تُقيّد - انتقال اللاجئين السوريين إليها، رحبتْ أبخازيا بهم، بل وتتمنى بقاءهم فيها لأطول فترة ممكنة، حيث يمكنُ أن يساعد توطينُ الأُسر السورية في البلاد على ارتفاع تِعداد سكان الدولة، وقد مثّل هذا الوضعُ فرصةً كبيرةً لآلاف السوريين ليعيشوا في أبخازيا بأمان وسلام، حيثُ يمتلكون حقوقَ العيش فيها كأيّ مُواطن عاديّ، بما فيها التأمين الصحيّ والتعليم المجانيّ، وحتى الحق في التصوّيت في الانتخابات.

عائلة أبخازية بالزي التقليدي

رفضُ استقلالِ الدولِ الصغيرةِ:

وقد ظلّت أبخازيا بهذه المكانةِ الكبيرةِ رغمَ صِغر حجمها، وظلّت تشغل حيّزا كبيرا على الساحة السياسيّة رغمَ ضعفها.

فرغم مساحتها الصغيرة، إلاّ أنّ تلك المساحة تتبوأ موقعا استراتيجيا على الساحل الشمالي للبحر الأسود، حيث تُهيمن على نصف سواحل جورجيا القديمة.

ولذا يعتمد اقتصادُها على السياحة، إضافةً إلى الفِلاحة، وإنتاج السجائر، إذ تمتلك حقولَ تبغٍ شاسعةٍ، وقد أثرّت علاقاتُها المُتوتّرة مع الولايات المتحدة الأميركية ودول أوروبا على اقتصادها بالسلب فأبقته هَشّاً، ويعاني العديدُ من سُكانها الأصليين والسوريين من الفقر.

وتُعدُّ أبخازيا نقطةَ ربط بين أوروبا والصين عَبْرَ طريق الحرير التاريخيّ الشهير الذي تجري محاولاتٌ لإحيائه، وهي لذلك تُعتبر ممرا هاما للتبادل التجاريّ بين أوروبا والشرق الأوسط، وقد عُرفت قديما كمنطقة ازدهار تجاريّ عبر التاريخ.

عندما انهار الاتحادُ السوفيتيّ وتفككت دُوَلُهُ عام ١٩٩٠م، كانت الحياةُ في دُوَلِهِ قد أُصيبتْ بالتفككِ والتحللِ والاضطرابِ والفراغ السياسيّ، وكان نصيبُ جورجيا من ذلك كبيراً، فقد شهدت فراغا سياسيا بعد أن تمَّ عزلُ رئيسها «جامسيا خورديا» وفرارُه إلى غرب البلاد، وتنصيبُ مجلس عسكريّ جديد لحكم البلاد، ثم سيطر «خورديا» على غرب البلاد، وخاض حرباً شديدةً ضد الحُكم الجديد.

وظلت الحربُ سِجالا بين المجلس العسكريّ الجديد والرئيس المخلوع، حتى تمَّ التضييقُ عليه، ففر إلى أبخازيا مُحتمِيا بأراضيها وأهلها، وهكذا بعد أن كان «جامسيا خورديا» شوكةً في ظهر أبخازيا، ومُهدِدا لاستقلالها، وسيفا مُسلّطا على أمنها واستقرارها، أصبح أمنُه ومصيرُه بيد شعبها بعد أن فرَّ إليهم.

وعاشت جورجيا بسبب هذه الأحداث فراغاً سياسياً، واضطراباً اقتصادياً أصابها بالعجز، وهو ما مثّل فرصةً نادرةً للأبخاز لإعلان دولتهم المُستقلة من جانب واحد عام ١٩٩٢م، وأعلنوا في نفس الوقت العودةَ للعمل بدستور ١٩٢٥م، وهو آخر دستور للدولة الأبخازية قبل أن يُعلن «ستالين» ضمَّها إلى جورجيا عام ١٩٣٦م.

وجاء إعلانُ استقلال أبخازيا كالصاعقة على المجلس العسكريّ الحاكم في جورجيا في ذلك الوقت، والذي كان يسيطر عليه تيارُ التطرف القوميّ الرافض بقوة لفكرة استقلال أبخازيا.

عواملُ انتصارِ أبخازيا على جُورجيا:

وكان تقديرُ المجلسِ العسكريّ أن القضاء على الأبخاز لن يتجاوزَ سوى أيامٍ معدودةٍ؛ نظرا لتِعدادهم المُتواضع الذي لايتجاوز مائة ألف نسمة، فأعلن الحربَ الشاملةَ في أغسطس ١٩٩٢م، وبالفعل حقق انتصاراتٍ كبيرةً في بدايتها، لكنَّ المعركةَ لم تنتهِ، فقد واصل الأبخازُ المقاومةَ ببسالة نادرة فاجأت جميعَ المراقبين، ووضعت جورجيا ونظامَها العسكريّ الجديدَ في مأزق كبير.

وبعد أن انتهت الفترةُ الانتقاليةُ التي تولى فيها المجلس العسكريّ إدارةَ البلاد بانتخاب «إدوارد شيفارنادزة» رئيسا جديدا للبلاد، واختار طريقَ مواصلة الحرب مع أبخازيا، فلم يجدْ الأبخازُ بُدّا من مواصلة المقاومة، حتى قلبوا الميزانَ العسكريّ لصالحهم، وحققوا نصرا ساحقا على جورجيا، تضافرت عواملُ عديدةٌ في تحقيقه، يُمكنُ إجمالُها فيما يلي:

- قوة شكِيمتهم ومِراسِهم في القتال والتي أعجزتْ الجورجيين وآلمتهم كثيرا، ولاشك أن ذلك عوّضهم عن قِلة عددهم أمام جحافلِ القواتِ الجُورجية، هذا إضافة إلى استنادهم إلى قوة ضخمة من أشقائهم المسلمين الذين يصلُ تِعدادهم إلى ٢مليون أبخازيّ ينتشرون في دول القُوقاز المجاورة لهم (الشيشان - الشركس -

تتارستان..وغيرها)، وكذلك أهلهم من المهاجرين منذ حملات التهجير القَسْريّ في تركيا والأردن الذين يُمدونهم بالمعونات الماديّة والعينيّة.

◈ انحياز روسيا في بداية الحرب إلى جانب الأبخاز، دون الإعلان عن ذلك صراحة، ولم يكن ذلك انتصارا لقضيتهم، بقدر ما كان انتقاما من جورجيا التي رفضت الانضمام إلى كمنولث الدول المستقلة برعاية روسيا، وهذا الرفض من قِبل جُورجيا حَرَمَ روسيا من النفاذ إلى موانئ البحر الأسود الذي تطلُّ عليه جورجيا وأبخازيا.

لكن الموقفَ الروسيّ اعتدل بعد ذلك لصالح جورجيا، بعد أن سارع الرئيس الجورجيّ بالذهاب إلى موسكو، وإعلان الانضمام من هناك إلى رابطة الدول المستقلة، وعلى إثْرِ ذلك سارع الرئيس الروسيّ- في ذلك الوقت - «بوريس يلتسين» بإعلان موقف جديد لصالح جورجيا، وذلك بتوجيه تحذير شديد اللهجة إلى الأبخاز من عواقبِ استمرار العمليات العسكريّة.

وتوثّقَ التعاونُ الجورجيُ الروسيُّ بتوقيع الجانبين اتفاقيةَ تعاونٍ عام ١٩٩٤م، تؤكد على أن أبخازيا جزء لايتجزأ من الأراضي الجورجيّة، لكن الأبخاز ردوا على تلك الخطوةِ بتوقيع معاهدة مع جمهورية تتارستان (جمهورية قوقازية تتمتع بالحكم الذاتيّ داخل روسيا) وهو ما مثّلَ ضربةً لروسيا من الداخل، جعلها تُسارعُ بإعادة النظر في موقفها، وتتحسسُ خُطاها من الانزلاق نحوَ العَداء الكامل لأبخازيا.

وهكذا تأرجح الموقفُ الروسيُّ بين الطرفين، لكنّه في كل الأحوال تعاملَ بحذر شديد مع مسألة استقلال أبخازيا، فروسيا تقف سداً منيعاً أمام أيّ نزعة استقلالية جديدة داخل الكيان السوفييتي السابق؛ لأن ذلك يُمثّل نموذجاً مُشجّعاً يُغْرِي الجمهورياتُ والكياناتُ التي مازالت واقعةً في القبضة الروسيّة، ولم تستطع الفِكاكَ منها بعدُ، ومنها جمهوريات القُوقاز ذات الحكم الذاتي (الشيشان - داغستان - الأنجوش - قيرقزيا - إديقيا)، وغيرها من الكيانات الأخرى مثل: تتارستان وبشكيريا الموجودتين داخل الكيان الروسي وتتمتعان بحكم ذاتيّ.

هذه الدول إذا استقلت فسوف تُشكّل لامحالةَ كتلةً إسلاميّةً كبرى، تهدد مشاريعَ روسيا نفسَها.

مستقبلُ الأوضاعِ:

على جانب الحكومة الجورجية ذاتها، فإنها لم تُبدِ أيَّ مرونة في قبول استقلال أبخازيا على أيّ صورة من الصور، وربما يسندها في ذلك إصدارُ مجلس الأمن أكثر من ثلاث إدانات لمحاولة أبخازيا السعي للاستقلال عن جورجيا.

لكنَّ الموقفَ الجورجيَّ المتشددَ المسنودَ دولياً، أضعفَهُ الاقتصادُ المُنْهَكُ من الحروب، وعواملُ التفجّير من الداخل المتمثلة في تركيبة السكان المتعددة الأعراق.

وقد شجّع ذلك الأبخازَ على إعلان استقلال دولتهم عام ١٩٩٢م، ضاربةً عُرْضَ الحائط برفض مجلس الأمن وعدم الاعتراف الدوليّ، وقرروا أنه من المُستحيل التنازل عن دولتهم المُستقلة التي خاضوا في سبيلها جِهاداً دَامَ أكثرَ من ستينَ عاماً.

ومن هنا لا نُبالغُ إذا قلنا: «إنّ الصراع بين جورجيا وأبخازيا سيطولُ، خاصة أن أربع جَوْلات من المفاوضات برعاية دوليّة وتوقيع اتفاقين لوقف إطلاق النار، أحدهما في بداية عام ١٩٩٣م، والآخر في مايو من نفس العام، لم تفلح في إنهاء ذلك الصراع».

الغريبُ في الموقف الدوليّ الذي يُصرُّ على رفض استقلال المكونات الإسلاميّة الصغيرة، مثل أبخازيا والشيشان وغيرها من الدول الإسلاميّة في الاتحاد السوفيتيّ المُنفكّ، والرافضِ لاستقلال كوسوفا ومقدونيا في البلقان، بدعوى الحِفاظ على وحدة الأراضي، هو نفسه الموقف الدوليّ الذي لم يُمانع في تفتيتِ البُوسنةِ إلى ثلاثة كِيانات (مسلمة - صربية - كرواتية)، وهو نفس الموقف الدوليّ الذي وقف بقوة وراء انسلاخ تيمور الشرقية من أندونيسيا في ٣٠ أغسطس ١٩٩٩م.

والواضح أن الموقف الدوليّ - في مسألة الاستقلال بالذات - يقف بكل قوة ضد مساعي الاستقلال إذا جاءت من كِيانات إسلاميّة، بينما يُعَضَدُ ويُسَاعَدُ إذا صدرتْ من كِيانات غير مسلمة داخل دول مسلمة.

لذا لانرى تغيّرا في الموقف الدولي الرافض لاستقلال أبخازيا، لسبب بسيط هو أنهم مسلمون.

تايوان
نموذجٌ فريدٌ في احترامِ حقوقِ الأقلياتِ وحرياتِهم الدينيّةِ

هذه تجربةٌ فريدةٌ لحياةِ واحدةٍ من الأقلياتِ الإسلاميّةِ التي تعيشُ في تايوان بين أغلبيةٍ من الدياناتِ الأخرى، دونَ التنكيلِ بأبنائِها أو الانتقاصِ من حقوقِهم، فصارتْ نموذجاً فريداً.

وقد جاء اسمُ «تايوان» نسبةً لأكبرِ جُزرِها التي تتكوّن أراضيها من جزيرةِ تايوان وعددٍ آخرَ من الجُزرِ الصغيرةِ المُجاورةِ، وتُسمى «تايوان» أيضا بـ «جمهورية الصين»، وهي غير جمهورية «الصين الشعبيّة القريبة منها»..

وَصَلَهَا الإسلامُ في القرنِ السابعَ عشرَ الميلاديّ، عندما انتقل عددٌ من العائلات المُسلمة من مُقاطعةِ «فوجيان» الساحلية جنوبي الصين الشعبيّة برُفْقَةِ القائدِ «كوسينغيا» في حملةٍ على تايوان، لإخراج الهولنديين من جنوب مدينة تاينان عام ١٦٦١م، وأنشأ مملكةَ تونغنينغ في تايوان، و يُعتقد أن هؤلاءِ هم أولُ المستوطنين المسلمين في الجزيرة، لكنَّ أحفادَهم اندمجوا في المجتمع التايوانيّ، وتبنوا العاداتِ والأديانِ المحلية، ووفقًا للأستاذ «ليان يا تانج» في كتابه «تاريخُ تايوان» الصادر عام

١٩١٨ م، كان هناك عددٌ قليلٌ من المسلمين في الجزيرةِ معظمُهم من مقاطعاتٍ أخرى في البَرِّ الرئيسيّ أو البَرِّ الصينيّ الخاضعِ للصين الشعبيّة منذ ١ أكتوبر ١٩٤٩م، ولم يكن هناك انتشارٌ للإسلام في ذلك الوقتِ، كما لم تكُن هناك مساجدُ، فقد تمَّ القضاءُ نهائياً على آثار أولِ هجرةٍ للمسلمين إلى تايوان خلال الحكم الاستعماريّ الياباني لتايوان (١٨٩٥م -١٩٤٥م)، حيثُ منعتْ الحكومةُ اليابانيةُ التايوانيين من ممارسةِ الإسلامِ باعتباره - في عُرْفِ الحكومة اليابانية - دِيناً أجنبياً محظوراً، مما اضطر السكانَ المسلمين المحليين إلى ممارسة دينهم سراً، وغنيٌ عن البيان فقد حظرت اليابانُ في ذلك الوقتِ جميعَ الأديانِ التي تعتبرها أجنبيةً، ولهذا كان أخر إمام مسلم يصل إلى تايوان من البَرِّ الرئيسي للصين الشعبية عام ١٩٢٢م، وبعد تسليم تايوان من اليابان إلى جمهورية الصين الشعبية في أكتوبر ١٩٤٥، اسْتُؤْنِفَ تقليدُ إرسالِ الأئمةِ من البَرِّ الرئيسي للصين مرةً أخرى في عام ١٩٤٨م، لكنَّ بعد إعلان «ماو تسي تونغ» رئيس الحزب الشيوعي الصيني في ١ أكتوبر ١٩٤٩م، لم يتم إرسالُ أئمةٍ، بل تمت القطيعةُ بالإسلامِ تماماً.

أصول مُسلمي تايوان:

ينحدرُ المسلمون التايوانيون - في الغالب - من المسلمين الصينيين (الشعبية) وهم من أهل السُنّة والجماعة، وينتمي معظمُهم إلى المذهب الحنفي، ولا يواجهون عملياً أيَّ اختلافات مذهبيّة التي تنحصر في الفروع، ولا يوجد صراعٌ مذهبيٌّ يُذكر هناك.

يتمتع المسلمون في تايوان بحُرية كاملة، مثل باقي أتباع الديانات الأخرى، حيث تتميز تايوان بضمان حرية الاعتقاد الدينيّ، وتحرص الحكومةُ على ذلك، ولهذا يتمتع المسلمون بحقوق المواطنة كاملةً، وهو ما جعل منهم نواباً في المجالس التشريعيّة ووزراءَ، وذلك بعكس الصين الشعبية وتُركستان الشرقية التي يعيش المسلمون فيها تحت ظروفٍ بالغةِ القسوةِ من سَجن، وقتل، وتهجّير، ومحاولاتٍ مستمرةٍ لخلعهم من الإسلام.

المسلمونَ في تايوانَ اليومَ:

وتُعدُّ غالبيةُ المسلمين التايوانيين اليوم من الذين اعتنقوا الإسلام حديثًا، ومعظمُهم من النساء، اللاتي تزوجْنَ من مسلمي الصين الشعبية، ويوجد اليوم حوالي ٦٠,٠٠٠ مسلم تايواني بنسبة حوالي ٠,٣٪ من التعداد الكُلي للسكان البالغ ٢٣,٤ مليون نسمة، وهناك حوالي ١٥٠,٠٠٠ عامل إندونيسي مسلم يعملون بالمدن الصناعية، ومسلمون آخرون وَفَدُوا من ماليزيا وبروناي والفلبين وباكستان والهند وسريلانكا وتايلاند والفلبين، بالإضافة إلى جِنسيات أخرى من أكثرَ من ٣٠ دولةً، وقد ساهم هذا العددُ الكبيرُ الذي يُساوي أربعةَ أضعاف تعداد سكانِها الأصليين، في ارتفاع التعداد الكُلي للمسلمين لِمَا يقربُ من ٢٥٠ ألف مسلم.

وينتمي المسلمون التايوانيون إلى عِرقيات مُتعددة، فحوالي ٩٠٪ منهم تنتمي إلى مجموعة «هوا» العِرقية، ذلك بالإضافة إلى الأتراك والأويغور والكازاخ، إلى جانب عدد آخر من الصينيين (ترجع الأصولُ الثقافيةُ للهان الصينيين إلى هواشا، وهو الاتحاد الأولي للقبائل الزراعية التي عاشت على طول النهر الأصفر قديماً).

وينمو الإسلامُ في تايوان ببطء؛ بسبب انخفاض نسبة المواليد السنوية، فتايوان من الجمهوريات القلائل في العالم التي تُعاني من انخفاض في نسبة المواليد السنوية، إذ يبلغ عددُ سكانها وفقاً للبيانات الرسميّة حتى نهاية عام ٢٠٢٤م حوالي ٢٣,٤ مليون نسمة، بانخفاض قدره ٢٠٢٢م نسمةً مقارنة بنهاية عام ٢٠٢٣م، ويُعدُّ هذا الانخفاضُ في السكان هو الانخفاض السنويّ التاسع على التوالي منذ عام ٢٠١٦م، وهو أدنى رقم منذ بدء تسجيل عدد المواليد.

وينحدرُ قرابةُ ٨٥٪ من سكانها من أصول «هان»، ويعتنقُ معظمُهم مزيجًا من البوذيّة والطاويّة مع رؤيةٍ كونيةٍ كونفوشية عادة، ويُسمى هذا المزيجُ الدين الشعبي الصيني.

هجراتُ المسلمينَ إلى تايوان:

وقد استقبلتْ تايوانُ أربعَ مَوْجَاتِ هجرةٍ من مُسلمي دول الجوار، بسبب الأوضاعِ الاقتصاديةِ الصعبةِ في بلادِهم، وحَظِيَ المهاجرون باستقبال جيّد، وقدرت «الرابطةُ الإسلاميةُ الصينيةُ» عددَ المسلمين الذين وصلوا إليها من موجة الهجرة الأولى بحوالي ٢٠,٠٠٠ شخص، وقد اندمجوا في المجتمع الذي تعامل معهم بإيجابية، والتحقوا بمؤسساته التي فتحت أبوابَها لهم -حتى مؤسسة الجيش - ومنهم من أصبحوا جنرالاتٍ، ولكنْ - للأسف - ضعفت صلتُهم بالإسلام في الأرض الجديدة، فعلى الرغم من جهود «الرابطةِ الإسلاميةِ الصينية» - أكبر منظمة إسلامية في تايوان - لإحياء الإسلام بينهم، إلا أن معظمَهم توقف عن ممارسةِ الشعائرِ الإسلاميةِ في حياتِهم اليومية.

الموجة الثانية

وصلت الموجةُ الثانيةُ من المهاجرين المسلمين من الصين الشعبية إلى تايوان خلال الحرب الأهلية الصينية التي اندلعت في منتصف القرن العشرين، إذ فرَّ حوالي

٢٠,٠٠٠ أسرة عام ١٩٤٩م تحت قيادة الجنرال «باي تشونغسي» والذي ترأسَ الرابطةَ الإسلاميةَ الصينية عند تأسيسها داخل تايوان، وذلك بعد انتقالها من أراضي الصين الشعبية إلى تايوان، وقد ضمّت هذه الهجرةُ جنوداً وموظفين حكوميين، جاءوا المناطق الجنوبية والغربية من الصين الشعبية التي كان الإسلام فيها قويًا.

وقد أسس أولُ المستوطنين المسلمين القادمين من الصين الشعبية أولَ مسجد في تايوان عام ١٩٤٧، وهو مسجد «تايبيه الكبير» ويرمزُ هذا المسجدُ إلى اللفتة الوديّة من حكومة تايوان نحو الإسلام والمسلمين، ويُعدُّ مركزُ معظمِ الأنشطة والاحتفالات الكبرى للمسلمين ويُدار من قِبل «الرابطةِ الإسلاميةِ الصينية»، وقد تم بناءُ مسجد العاصمة الثالث بالتعاون مع الحكومة التركية، وقد أسهمَ السماحُ ببناء هذه المساجدِ في تعزيزِ العلاقاتِ الدبلوماسيةِ بين تايوان وأصدقائها من الدول الإسلامية، وتطوّرت الأنشطةُ الدبلوماسيةُ بين الطرفين بشكل كبير وزاد التبادلُ التجاريُّ بشكل ملحوظ.

وقد أدتْ هذه الموجةُ الثانيةُ من هجرة المسلمين إلى إنشاء مساجدَ أخرى في البلاد، مثل مسجد «كاوهسيونغ» في عام ١٩٤٩ م في كاوهسيونغ، ومسجد تايبيه الثقافي الذي تمَّ إنشاؤُه في عام١٩٥٠ في تايبيه، إضافة إلى مسجد تايبيه الكبير، وعام ١٩٥١م تمَّ إنشاءُ مسجدِ تاي شانغ في مدينة تاي شانغ، وبمرور السنين تزايدَ بناءُ المساجدِ حتى وصل إلى أحدَ عشرَ مسجداً، ثلاثة منها موجودة في العاصمة «تايبيه» ومع مرور الوقت يتم بناءُ مساجدَ جديدةٍ كلما دعت الحاجة، خاصة أن الدولة تسمح بحرية بناء المساجد في إطار سماحها بحرية الأديان دون تدخل أتباع أي دين في شئون الدين الآخر، وإلى جانب المساجد هناك العديد من غرف الصلاة الصغيرة والتي توجد عادةً في المطارات ومحطات القطار وغيرها.

وخلال خمسينيات القرن العشرين، كان الاتصال بين المسلمين والصينيين الهان (أكبر مجموعة عرقية في الصين الشعبية) محدودًا بسبب الاختلاف في

العادات، وكان المسلمون يعتمدون بشكل كبير على بعضهم من خلال الجالية الإسلاميّة (الأمة).

وبحلول ستينيات القرن العشرين، وعندما أدرك المسلمون أن العودة إلى الصين الشعبية ستكون غيرَ مُحتملة وليس هناك حاجةٌ مُلحّة إليها، أصبح الاتصالُ بالصينيين الهان أكثرَ.

الموجة الثالثة

وقد حدثت عام ١٩٥٣م بناءً على قرار أصدرته الجمعيةُ العامةُ للأمم المتحدة بإدانة تدخل جمهورية الصين الشعبية في بورما، وحثها جميعَ الدول على احترام سيادة بورما وسلامتها الإقليمية.

وكان من نتائجه أن اتفاق تايوان وتايلاند وبورما على إجلاء جميع القوات غير النظاميّة من بورما إلى تايوان، وقام الطيران المدني بنقل ٥٨٨٣ جنديًا و١٠٤٠ مدنياً، وتُسمى هذه الموجةُ الثالثةُ من هجرة المسلمين من الصين الشعبية إلى تايوان.

كانت غالبيةُ هذه القوات مسلمة، ولم يكن لديها مكانٌ للعبادة في موطنها الجديد (تايوان)، لذلك بدأوا عام ١٩٦٤م في بناء مسجد لونغانغ في مدينة زونغلي، والذي اكتمل بناؤه بعد ثلاث سنوات (عام ١٩٦٧م)، وعاشت حوالي ٢٠٠ عائلة مسلمة في هذه المنطقة، ومعظمها ينتمي إلى عشائر عائلة واحدة

خلال تلك الفتراتِ، شَغَلَ عددٌ قليل من القادة المسلمين مقاعدَ في مجلس اليوان التشريعي الوطني، وكان هناك مسلمون يعملون ضباطاً في القوات المسلحة، ووصل بعضهم لرتبة الفريق مثل ما تشينغ شيانغ الذي أصبح أحدَ كبار مستشاري الرئيس، كما شغل المسلمون مناصبَ مهمةً في السلك الدبلوماسي، مثل سفير جمهورية تايوان لدى الكويت وانغ شي مينج.

الموجة الرابعة

منذ ثمانينات القرن العشرين، هاجر إلى تايوان آلاف المسلمين من ميانمار (بورما) وتايلاند التي تحكمها حكومة بُوذيّةٌ متطرفةٌ ضد المسلمين، وذلك بحثًا عن حياةٍ أفضلَ، والمهاجرون المسلمون الجُدد هم من نسل الجنود الوطنيين الذين فروا من الصين الشعبية، عندما استولى الشيوعيون على الحكم هناك، ويُمثّل هؤلاء الهجرةَ الرابعةَ من المسلمين، وقد استقر العديدُ منهم في مدينة تايبيه الجديدة، وذهب بعضُهم إلى منطقة دايوان بمدينة تاويون.

تايوانُ والأقليّةُ المسلمةُ:

تُعدُّ تجربةُ «تايوان» في التعامل مع الأقلية المسلمة التي تعيش على أرضها ومع باقي الأقليات تجربةً فريدةً، فهي من البلدان القلائل التي تكفلُ حقوقَ المواطنةِ والعيشَ الآمنَ للأقليات ومنها الأقليةُ المسلمةُ، بل تبادر الحكومةُ بتحفيزات دائمة للمسلمين على المشاركة بحُرية في الحياة السياسيّة، والاجتماعيّة، والاقتصاديّة، وأتاحت لهم الفرصةَ كاملةً لتأسيس جمعيات ومؤسسات رسمية تمثلهم وترعى مصالحهم، مثل «الرابطة الإسلامية الصينية» وأصبح منهم أعضاءٌ في البرلمان، وباتوا يمتلكون مؤسساتٍ اجتماعيةً وتعليميةً واقتصاديةً، ويتمتعون بحرية العبادة وممارسة النشاط الإسلاميّ في مساجدهم.

التعليم: و نظرا لعدم وجود أي تعليم إسلاميّ أو دينيّ رسميّ في تايوان، يقتصر التعليم الدينيّ على الدروس الدينية في المساجد، وعلى الدورات الصيفية التي تنظمها بعض الجمعيات الإسلامية، وأبرزها الرابطة الإسلامية الصينية في عطلات نهاية الأسبوع، ويتم في هذه الدورات أيضا تعليمُ اللغة العربية والقرآن الكريم والحديث الشريف والشريعة، بناءً على طلب من الوالدين.

وقد سمحت الحكومةُ لقسم اللغة والثقافة العربية داخل جامعة تشينغتشي الوطنية بالاستقلالية، أُسوةً بأقسام اللغات والثقافات الشرقية بالجامعة، ويمتلك القسم اتصالاتٍ مع جامعات عربية، مثل جامعة الكويت والجامعة الأردنية وجامعة الملك سعود، وقد أتاحت جامعة تشينغتشي الوطنية الفرصةَ للطلاب الوافدين لدراسة علوم السياسة والاقتصاد.

وتقوم الرابطةُ الإسلاميّةُ الصينيةُ بإرسال طلابٍ مسلمين تايوانيين إلى الخارج لتلقي تعليم إسلامي رسمي، و تنفذ خطةً «لتعليم المعلمين العلمانيين» بعض العلوم الإسلامية، وينظم مكتبُ التعليم في حكومة مدينة تايبيه دوراتٍ إسلامية لمعلمي وطلاب المدارس الابتدائية والثانوية خلال العطلة الصيفية.

وتقوم الرابطةُ الإسلاميّةُ الصينية وغيرها من المؤسسات - قدر استطاعتهم - بنشاط واسع لدعم الجهود الرامية للحفاظ علي العقيدة الإسلامية، بإرسال طلاب مسلمين تايوانيين إلى الخارج لتلقي تعليم إسلامي، وتمَّ وضعُ خطة «لتعليم المعلمين العلمانيين» العلوم الإسلامية، وينظم مكتب التعليم في حكومة مدينة تايبيه دورات إسلامية لطلاب المراحل الابتدائية والثانوية خلال العُطلة الصيفية للمعلمين، وتقدم هذه الدوراتُ معلوماتٍ إسلاميةٍ صحيحةٍ ووفيرةٍ لمعلمي المدارس العامّة، وذلك للحد من ظاهرة القوالب النمطيّة الإسلاميّة.

مجتمعاتُ الطلابِ المسلمينَ الجامعيةُ:

تضمُّ جامعةُ «تشونغ هوا» في مدينة سين شو ناديًا للطلاب المسلمين يُسمى «جمعية الإسلام والثقافة»، وقد تأسس هذا النادي في ٦ يناير ٢٠١٠م، ويهدف إلى جمع الطلاب المسلمين في جامعة تشونغ هوا، وتقديم الإسلامِ والثقافةِ الإسلاميّةِ للأصدقاء التايوانيين في الحرم الجامعيّ.

كما تضمُّ جامعةُ «تشنغ كونغ» الوطنية في تايْنان ناديًا للطلاب المسلمين يُسمى «اتحادَ الطلاب المسلمين الدوليّ» الذي تأسس في ١٥ نوفمبر ٢٠١٢ م بهدف تقديم معلومات عن الإسلام والحياة اليومية للمسلمين.

ويُوجد في الجامعة الوطنية تشياو تونغ في مدينة «سين شو» نادٍ للطلاب المسلمين يُسمى «نادي الطلاب المسلمين» وقد تم ُإنشاؤُه، لتمكين الطلاب المسلمين من ثقافات متنوّعة عبر الالتقاء وتبادل الأفكار والقيام بأنشطة مختلفة، ويقوم النادي بتعليم اللغة العربيّة والدراسات الإسلاميّة أسبوعيا.

أمّا جامعةُ تايوان الوطنية للعلوم والتكنولوجيا في العاصمة «تايبيه» فتضمُّ ناديًا للطلاب المسلمين يسمى «جمعية الطلاب المسلمين الدولية» وقد تأسس النادي في ٢٢ مايو ٢٠١٢م، و قبل إنشاء هذا النادي، نَظَّمَ طلابُ الجامعة المسلمون المعرضَ الدوليّ للثقافة الإسلاميّة في نوفمبر ٢٠١١ م والذي يهتم بالعلوم والتكنولوجيا الإسلاميّة، والأحداث الإسلامية، والتاريخ الإسلاميّ في تايوان، والمرأة في الإسلام وحياة المسلم اليومية، ويعمل على زيادة التفاهم بين الثقافات المختلفة لتحقيق السلام والوئام، وقد استمر النادي في عقد هذا الحدثِ سنويًا.

تجربةُ الطعامِ الحلالِ:

ولحرص المسلمين في تايوان على تناول الطعام الحلال، أولت الحكومةُ أهميةً لتنفيذ مشروع كبير لإعداد هذا الطعام الحلال بكل أنواعه بدقة وتقديمه تحت إشراف متخصصين، وتُدخل الحكومةُ على هذه الخدمة تحسيناتٍ مستمرةً، كما أنشأت مطاعمَ خاصةً ومعروفةً لتقديمه، حتى في داخل الجامعات.

ودعماً لهذه التجربةِ وترويجاً لها، نظمت تايوانُ أولَ معرضٍ للطعام الحلال عام ٢٠١٣م في قاعة تايبيه للمعارض بالعاصمة التي يعيش فيها ٤٠٪ من المسلمين، وذلك تحت عنوان «معرض تايوان الدولي للحلال ٢٠١٣ م»

وهناك نوعان من الشهادات الحلال توضّح نوعَ المطعم، أو المنفذ الذي يقدمه وتبعيته:

- «شهادة حلال» للمطاعم التي يمتلكها مسلمون.
- وشهادة حلال للمطاعم التي يمتلكها غير المسلمين.

وقد أنشأت بعضُ الجامعاتِ، مثل جامعة تايوان الوطنية للعلوم والتكنولوجيا وجامعة يوانبي للتكنولوجيا الطبية، كافتيريا في حرمها الجامعيّ لتقديمِ الأطعمةِ الحلالِ لطلابِها.

وساعد الوجودُ المتزايدُ للعمال الإندونيسيين المسلمين في تايوان، على إنشاء المزيد من هذه المطاعم التي تقدم أيضا المأكولات الإندونيسية.

وفي ثكنات الجيش يتمُّ تسليمُ المسلمين الذين يخدمون في القوات المسلحة أوانيَ يطبخون فيها طعامَهم بأنفسهم.

صومُ رمضانَ..وعيدُ الفطرِ:

ويحظى احتفالُ المسلمين بشهرِ رمضانَ وبعيد الفطر المبارك باهتمامٍ كبيرٍ من السلطات الرسميّة، ووسائلِ الإعلام المحليّة، وقد فتحت حكومةُ مدينة تايبيه مكانين رئيسيين لاحتفال المسلمين بالعيد، أحدهما في حديقة «دان فورست» التي جاء اختيارها، بسبب وقوعها بجوار مسجد تايبيه الكبير، حيث يتم أداءُ صلاة العيد.

ويحرص المسئولون الكبارُ على مشاركة المسلمين الاحتفال بعيدهم، كما يحرص عمدةُ العاصمةِ «تايبيه» على الحضور إلى مسجد تايبيه وتوجيه كلمةٍ لمسلمي البلاد والمسلمين الوافدين للعمالة في تايوان من الدول المجاورة، والتي يُشكّلُ الأندونيسيون بينهم عدداً كبيراً يتراوح بين ٢٠,٠٠٠ - ٣٦,٠٠٠ عامل أندونيسي، يساهمون بقسط كبير في عمليات البناء وتسيير الحياة اليومية في البلاد، كما يساهم بعضُهم في الأعمال المنزلية في المدينة، مما ساعد في تحويل العاصمة إلى مدينةٍ أفضلَ، والتي يحثُّ عمدتُها التايوانيين على حُسن مُعاملة العمال الأجانب، واعتبارهم جزءاً من عائلاتهم.

الدورُ الاجتماعيُ للمساجدِ:

وتحرص المساجد في تايوان، حيث يعيش ٤٠٪ من المسلمين على المساهمة في حل مشاكل المسلمين الاجتماعية والاقتصادية، وتحتوي المساجدُ على صناديقَ لجمع التبرعات والزكاة لهذا الغرض، ومن خلالها يهتم المسلمون القريبون من المساجد بمساعدة العمال الأجانب المحتجزين في مراكز الاحتجاز لقضاء احتياجاتهم، وإنجاز أوراقهم الخاصة باستخراج تأشيرة العمل، كما يزور بعضُ المسلمين التايوانيين المسنين والمرضى والفقراء وتقديم يد العون لهم.

وغنيٌّ عن البيان أن يشهد مسجدُ تايبيه الكبير معظمَ حفلات الزفاف الإسلاميّة التايوانية.

أهم معلم للمسلمين فيها.. مساجدها

موسمُ الحجِ:

كان أولُ وفد أرسلته تايوان لأداء فريضة الحج عام ١٩٢٥، وبعد انتهاء الحرب الأهلية الصينية عام ١٩٤٩م، واصلت تايوان تسهيلَ سفر الحجيج لأداء الفريضة التي يحرص المسلمون على أدائها كثيرا، حتى باتت نسبة من أدى الفريضة بين ٤٠-٥٠٪، وتحرص تايوان على إرسال وفد رسميّ من المسلمين للحج تحت إشراف الرئاسة، وتُقدم لهم الرعايةَ خلالَ الرحلة، كما تُنظّمُ حفلَ استقبال لهم عند عودتهم، وغالبا ما يتحدث الرئيسُ إليهم مُرحّبا بهم، ففي حفل الاستقبال الذي تمَّ العام الماضي (يوليو ٢٠٢٤م) أعرب الرئيس الجديد لاي تشينغ دي خلال استقباله لبعثة الحج عن أمله في أن يستفيد المسلمون في جميع أنحاء العالم من تجربة تعامل تايوان مع المسلمين، مؤكدا أن الإسلامَ أثرى التنوّعَ الثقافيَّ في تايوان على الرغم من كونه دينَ أقليةٍ في البلادِ.

تحدياتٌ كبيرةٌ:

على الرغم من حقيقة أن تايوان مجتمعٌ يتمتع بحرية الأديان والتسامح الشديد، ويحظى الإسلامُ والمسلمون في تايوان باحترام لمشاعرهم، مازال يُنظر للإسلام -بشكل عام -على أنه غريبٌ عن الثقافة الصينية التقليدية من قِبل عموم الشعب التايواني، ويجد المسلمون في بيئة العمل ونمط الحياة السريع صعوبةً في ممارسة أركان الإسلام الخمسة، وخاصة الصلاة، إذ لا يستطيعُ العديدُ منهم حضورَ صلاة الجمعة في المساجد، لأن عطلة نهاية الأسبوع تقع يومي السبت والأحد، وهذا يعني أن الكثير من المسلمين لا يستطيعون حضورَ خطبة وصلاة الجمعة كواحدة من أهم شعائر الإسلام، هذا إضافة إلى إشكالية جديدة، تتمثل في أن العديد من الأجيال الشابة تفضل قضاءَ وقتِ فراغِهم المحدود في الحانات والنوادي الليلية والمقاهي، بسبب قناعة سائدة لديهم، مُفادها أن الالتزام بالدين لا يحققُ ربحا؛ لأنّ مقياسَ النجاحِ في الثقافة الصينية يُعرّف بالثراء والمكانة، وذلك مرجعُه إلى ضَعْفِ المعرفة بمعالم الإسلام، ولذلك فإن معدل اعتناق الإسلام يُعدُّ منخفضاً نسبيًا، لأنّ معظم المسلمين التايوانيين ليسوا نشطاء في الدعوة لدينهم مثلما يفعل أتباعُ الأديان الأخرى، ومن المهم الإشارةُ إلى أن اعتناقَ بعضِ التايوانيين للإسلام يرجع إمّا لزواجهم من مسلمات، أو لتأثر بعضهم ببعض القيادات المسلمة، أو بسبب القراءة عن الإسلام، ويُقدر مسجدُ تايبيه الكبير معدلَ اعتناقِ التايوانيين السنويّ للإسلامِ بمئة شخص، بينما يُقدره مسجد تايبيه الثقافي بخمسين شخصًا.

مقابرُ المسلمينَ:

ويواجه المسلمون صعوباتٍ كبيرةً في العثور على مكان لدفن موتاهم وفقًا للشريعة الإسلامية؛ لأن الحصول على الأرض المخصصة للدفن في تايوان مُكلّفٌ للغاية، ولذلك يُسمح بالدفن في البحر إذا تعذر الوصولُ إلى الأرض في غضون ٧٢

ساعة وهي مدة طويلة؛ لأن الشرع الإسلاميّ يُوصي بالإسراع في دفن الميت، وذلك خلاف إجراءات دفن الموتى التايوانيين التي غالبا ما تستغرق أسابيعَ أو شهورًا بعد وفاة الشخص.

المنظمات الإسلامية في تايوان:

١. الأسرة المسلمة الإندونيسية، وهي المنظمة الجامعة التي تقود جميع الجمعيات الإسلاميّة الإندونيسيّة في تايوان، وقد تمَّ افتتاحُها في الثاني من ديسمبر ٢٠٠٧ م في مسجد تايبيه.

٢. مكتب الرابطة الإسلامية الصينية في مسجد تايبيه الكبير.

٣. الرابطة الإسلامية الصينية أو جمعية المسلمين والتي تأسست في عام ١٩٣٨م في الصين الشعبية، ثم انتقلت إلى تايوان وتُدير مسجد تايبيه الكبير.

٤. الجمعية الإسلامية لتايوان: تأسست في ١٠ يناير ٢٠١٦م ويقع مقرها في مدينة هوالين.

٥. رابطة الشباب المسلم الصيني، والتي تأسست في ثلاثينات القرن العشرين وتُدير مسجدَ تايبيه الثقافي.

٦. المؤسسة الإسلاميّة الثقافيّة والتعليمية الصينية، وهي أول مؤسسة ثقافية للتعليم الإسلاميّ، وقد تأسست عام ١٩٧٦م، ويقع مقرُها في مسجد تايبيه الكبير.

٧. جمعية مسلمي تايوان، تأسست في ٢٤ أبريل ٢٠١٦م، ويقع مقرُها في مسجد التقوى.

٨. جمعية تايوان لتنمية سلامة الحلال، تأسست في السابع من مايو ٢٠١١ م في تايبيه كهيئة تمنح شهادة الحلال للمنتجات الغذائية التايوانية، ويقع مقرُها في مسجد تايبيه الثقافي.

٩. نهضة العلماء الفرع الرئيس لمنظمة نهضة العلماء، وتم إنشاؤه عام ٢٠٠٧م، ولديها فروعٌ محليةٌ في العديد من المدن.

١٠. رابطة الشباب النسائيّة في الجامعة، والتي تأسست عام ٢٠١٣ م.

ولا شك أن الدور الذي تقوم به هذه المنظماتُ يحلُّ كثيراً من المشاكل التي تواجه المسلمين، كما أن اهتمام رئيس الدولة والحكومة بالتواصل مع المسلمين في المناسبات الإسلاميّة الكبرى، وتشجيعهم علي التمسك بدينهم، وتأكيدهم على أن دين أي أقلية في تايوان محترمٌ ويتمتع بحماية كاملة بموجب القانون، كما أن اهتمام الحكومة بتحقيق السلام والعدالة ومساعدة الضعفاء والفقراء وتعزيز الاستقرار الاجتماعي والعمل الجاد، كل ذلك يحقق الوئام الديني ويُشعر الجميعَ بالاطمئنان في العيش في وطنٍ آمنٍ.

٨

هونج كونج..
الميناءُ العَطِر...ولؤلؤةُ الشرقِ !

«هونغ كونغ»: كلمة صينية معناها «المِيناء العَطِر»، وقد لقّبها المستعمرون بـ «لؤلؤة الشرق»، وهي إحدى المنطقتين الإداريتين التابعتين لجمهورية الصين الشعبيّة (المنطقة الثانية هي ماكاو).

تقع على ساحل الصين الجنوبي، وهي محصورة بين بحر الصين الجنوبي ودلتا نهر اللؤلؤة، وتتميز بناطحاتها السحابية الكثيرة وميناؤها الفسيح، يزيد عددُ سكانِها على ٧,٤٨٢ مليون نسمة يمثلون إحدى أكبر الكثافات السكانية في العالم، بعكس جمهورية «تايوان» التي تتميز بواحدة من أكبر نسب الانخفاض السكانيّ في العالم.

ومنذ العصور القديمة كان يسكن منطقةَ «هونغ كونغ»، عددٌ قليل من السكان، وظلت حتى نهاية العصور الوسطى مجردَ قريةِ صيدٍ صغيرةٍ دونَ أن

يكون لها شأنٌ كبيرٌ، ثم وقعت تحت سيطرة الاحتلال البريطانيّ في أعقاب حرب الأفيون الأولى (١٨٣٩م -١٨٤٢م)،بين الصين وبريطانيا،؛ بسبب محاولة الصين الحدَّ من زراعة الأفيون واستيراده، فتصدت لها بريطانيا؛ بسبب الأرباح الكبيرة التي كانت تجنيها بريطانيا من تجارة الأفيون في الصين، وكان من نتائج هذه الحربِ أنْ أصبحت هونغ كونغ مستعمرةً بريطانيةً.

وبعد حرب الأفيون الأولى توسعت حدودُ هونج كونج بضمِّ مقاطعةٍ أوسعَ تشمل شبهَ جزيرةِ كولون، ثم الأقاليم الجديدة فيما بعد، وفي منتصف القرن العشرين استولت عليها اليابانُ أثناء حرب المحيط الهادئ، ولكن بريطانيا استعادتها بعد الحرب، وبقيت هونج كونج مستعمرةً بريطانية حتى عام ١٩٩٧م، عندما استعادت الصين ملكيتها، وطوال العصر الاستعماري ظلت هونج كونج تتمتع بحريتها، فقد كان التدخلُ الحكوميُّ في الاقتصاد محدوداً، وقد أثرّت تلك المرحلةُ على تشكيل ثقافة هونغ كونغ الحديثة، وما زالت تتمتع باستقلالية عالية ونظام مختلف عن نظام الصين الشعبية في القضاء والدستور، باستثناء العلاقات الدبلوماسية الدولية والبنية العسكريّة، أمّا حرب الأفيون الثانية فقد وقعت بين عامي (١٨٥٦ م - ١٨٦٠ م).

وتُعدُّ هونغ كونغ واحدةً من المراكز الاقتصادية الرائدة في العالم، وعُملتها (دولار هونغ كونغ)، وهي العملةُ الثامنةُ الأكثرُ تداولًا على مستوى العالم.

جغرافيا هونج كونج:

ومعظمُ أراضي هونغ كونغ عبارةٌ عن جبال وتلال، ولذلك فإن أقل من ٢٥٪ من إجمالي مساحتها مأهول بالسكان، ونحو ٤٠٪ من مساحتها الباقية يقع ضمنَ نطاق الحدائق الوطنية، والمحميات الطبيعية، ويتركز معظم التوسع العمراني في المنطقة في شبه جزيرة كولون، وعلى الساحل الشمالي من جزيرة هونغ كونغ،

وبسبب صِغَرِ مساحتها وكثرةِ سكانها - كما هو واضح - برزت الحاجةُ إلى بنية تحتية تسمح بكثافة سكانية أكبرَ، فحوَّلها ذلك إلى مركز للعمارة الحديثة، وجعل منها المدينةَ الأكثرَ علوًّا في العالم، كما تسبب ذلك في تطوير شبكة المواصلات فيها، حتى أصبح يعتمد أكثرُ من ٩٠٪ من سكانها على النقل العام، وهو المعدل الأعلى عالميًّا.

وتكثر فيها الأعاصيرُ الاستوائيةُ خلال الصيف، وتتسبب أحياناً في الفيضانات والانهيارات الأرضية، أمّا فصلُ الشتاء فهو معتدل الطقس.

اللغة: ولغةُ هونغ كونغ الرسمية هي «صينية يوي» (مجموعة من اللغات الصينية المنتشرة في جنوب الصين)؛ ويبلغ عددُ المتحدثين بها ٦٢ مليون نسمة)، وتُصنّف اللغةُ الإنجليزية أيضاً لغةَ رسمية فيها، حيث تتحدث بها نسبةٌ كبيرة من السكان في حياتهم اليومية.وتشتهر هونغ كونغ بأنها ملتقى الشرق بالغرب، وقد تكوّنت ثقافتُها من خليط بين أصلها الصيني وآثار الاستعمار البريطاني لها، ويصل هذا الاندماجُ بين الثقافتين من التأثر بالفلسفات والاتجاهات الفكرية الشائعة فيها إلى الأطعمة، إذ توجد فيها مطاعمُ للوجبات السريعة الغربية إلى جانب المطاعم الصينية.

كيف وصلها الإسلامُ؟

عَرفت منطقةُ شرق آسيا - هونج كونج من دولها - الإسلامَ في القرن الهجريّ الأول - القرن السادس الميلاديّ (عام ٥٧٨ م) عن طريق التجار العرب الذين وصلوا إلى جنوب شرقي الصين أيضا في نفس الفترة، وعلى امتداد القرون المتتالية، توالت هجراتُ المسلمين إلى تلك المنطقةِ من جُزر الهند الشرقية والملايو، ولا يمكنُ فصلُ تاريخ الإسلام في جنوب الصين عن تاريخه في هونغ كونغ، فقد كانت هونج كونج ملجأً للمسلمين الصينيين خلال الأحداث التي جرت داخل الصين،

وهاجر إليها كثيرٌ من المسلمين إبّانَ الانتفاضة الشيوعية في الصين عام ١٩٤٦م، ولم تغلق الحدود بينها وبين الصين الشعبية حتي عام ١٩٥٠م، وغنيٌّ عن البيان فقد كانت الصينُ صاحبةَ نفوذٍ تاريخيّ وثقافيّ ممتد في المنطقة بصفتها أكبرَ وأقوى الإمبراطوريات التي عرفها شرق آسيا.

وفي منتصف القرن ١٩م تجدد وصولُ الإسلام إلي تلك المنطقة - بعد أن كاد يتوارى- مع وصول شركة الهند الشرقية البريطانية التي جلبت المجموعةَ الأولى من المسلمين إلى هونغ كونغ.ومع اندلاع حرب الأفيون الأولى عام ١٨٣٩ م،بين الصين وبريطانيا بسبب محاولة الصين الحد من زراعة الأفيون واستيراده، فتصدت لها بريطانيا، بسبب الأرباح الكبيرة التي كانت تجنيها بريطانيا من تجارة الأفيون في الصين، وكان من نتائج هذه الحرب أن أصبحت هونغ كونغ مستعمرةً بريطانية.

أقول إنه مع اندلاع تلك الحرب هاجرت موجاتٌ من مسلمي مقاطعة قوانغدونغ (جنوب الصين) إلى هونج كونج، وفي تلك الأثناء أخذ المجتمع الإسلاميّ في التنامي والتطوّر، ففي أقدم إحصائية عام ١٨٧١ م كان عددُ المسلمين في هونغ كونغ ١٥١ مسلماً، بينما في إحصاء عام ١٩١١م ارتفع تِعداد المسلمين فيها إلى ١٧٧٩ مسلماً (، وبعد الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩/٩/١ م - ١٩٤٥/٩/٢م) جلب البريطانيون عمالًا من الهند وإندونيسيا، وكان بينهم مسلمون، ومع نهاية القرن العشرين شهد عددُ المسلمين تزايدا، بسبب استمرار هجرتهم إليها.

أمّا عن تحديد نسبتهم بين السكان اليوم، فتكرر في غالبية المصادر أن نسبتهم تتراوح بين ٤،١٪ أو ٤،٢٪ من إجمالي السكان (حوالي ٣٠٠،٠٠٠ مسلم) من بينهم ٣٠،٠٠٠ مسلم صيني، بينهم ٥٠ ألف مسلم صيني، و١٥٠ ألف إندونيسي، و٣٠ ألف باكستاني، وغيرهم من جنسيات أخرى، مع ملاحظة أن الغالبية العظمى منهم من أهل السُنّة والجماعة.

وفي مقابل هذا العدد للمسلمين هناك ٥٤,٧٪ للملحدين واللا دينيين، و١٤,٩٪ للنصارى، و١٣,٣٪ للبوذيين، و١٣٪ للديانات الشعبية والقديمة (وفق مركز بيو للإحصاء)، وبالمجمل فإن أكثرَ من نصف سكان هونغ كونغ لا يُقرون بانتمائهم إلى أي دين، إذ يعتنقون ما تسمى «مذاهب الإلحاد واللا أدرية».

مساجدُ ومؤسساتٌ إسلاميّةٌ:

يُوجد في هونج كونج خمسةُ مساجدَ: أكبرها مسجد «كاولون» الموجود في منطقة كاولون وهي منطقة حضرية مكتظة بالسكان، ويوجد فيه مقرُ المركز الإسلاميّ، و يتسع لـ ٣٥٠٠ شخص، وهو واحد من المعالم الإسلامية البارزة ويتميز بمآذنه الأربعة الشامخة على ارتفاع ١١ متراً، ما يجعله تحفةً فنية، كما يتميّز هيكلُ المسجدِ بالرخامِ الأبيضِ على الأرضيات والواجهة، ويضم هذا الموقعُ الثقافيُ البارزُ المفتوحُ للجميع ثلاث قاعات للصلاة، ومدرسة، وقاعة اجتماعية تستخدم من قبل المنظمات الإسلامية لإقامة الفعاليات في المناسبات الخاصة.

وقد أنشأه قديماً الجنود المسلمون الذين كانوا متمركزين في هذه المنطقة، والتي تعرف حالياً باسم حديقة كاولون.ويعمل مفتي هونج كونج الشيخ محمد أرشد إماماً وخطيباً لهذا المسجد.

مسجد كولون..

أمّا أقدمُ المساجد وأعرقُها في هونج كونج فهو مسجد «جاميا» الذي تمَّ بناؤُه في أربعينيات القرن التاسع عشر، ثم أُعِيدَ بناؤُه عام ١٩١٥م.

ومازال المسلمون في هونج كونج في حاجة إلى مزيد من المساجد، إذ يضطر كثيرٌ منهم للصلاة في أماكنَ مؤقتةٍ، بسبب قلة أعداد المساجد.

مشهد داخلي لمسجد كولون الكبير

صعوباتُ الاندماجِ الاجتماعيّ:

لا يعدُّ الحصولُ على الطعام الحلال مشكلةً للمسلمين بفضل وجود أكثرَ من ٧٠ مطعماً حاصلاً على شهادة الحلال، ومن بينهم مطعم «إسلام» الذي تمَّ إنشاؤُه في خمسينيات القرن الماضي، وحصل على العديد من الجوائز المحلية في مجال الطعام، ذلك بالإضافة إلى مجموعة كبيرة ومتنوّعة من أطباق الحلوى المميزة. لكن المسلمين يواجهون مشكلتين رئيستين هما:عقبات في التعليم وصعوبات في الاندماج الاجتماعي، حيث لا يزال لدى العديد من الطلاب المسلمين غير الصينيين خياراتٌ محدودةٌ من المدارس، وكذلك من المهن، كما تشير الصعوباتُ في الاندماج الاجتماعيّ، إلاّ أن عامّة الناس في هونغ كونغ ليس لديهم الكثيرُ من الوعي بالإسلام، لكن مع زيادة التغطيات الإعلاميّة في

التعريف بالإسلام وأحوال المسلمين، تغيّرت النظرةُ العامةُ الإيجابية للمسلمين في هونغ كونغ، مما أدى إلى ارتفاع نسبة دمجهم في المجتمع، وقد تمَّ إدخالُ تحسّين في صالح المسلمين على بعض المناهج، وعلى سبيل المثال ما ورد في أحدث مناهج التاريخ المُنقّحة للمرحلة الثانوية أنه «من أجل توسيع وجهات نظر الطلاب العالمية وتعزيز فهمهم للثقافات الرئيسة الأخرى في العالم، تمت إضافةُ موضوعاتٍ جديدةٍ عن الحضارات والتطوّر التاريخيّ للمناطق الأخرى، بما في ذلك الحضارةُ الإسلامية»، وهو ما يشير إلى وجود جهود لتسهيل الاندماج الاجتماعيّ للمسلمين، وأن المسلمين في هونج كونج سيصبحون أكثرَ وضوحاً في مجتمعهم إنْ شاءَ اللّهُ.

الفهرس

المُقدِّمَةُ..... ٥

١- قراءةٌ تحليليةٌ في حاضر ومستقبل الأقليات المسلمة حول العالم ٧

٢- مِحنةُ مسلمي الرُوهنجيا في بُورما.. الاقتلاعُ من الجُذور ١٣

٣- المسلمون الصينيون.. ملحمةُ التشبثِ بالعقيدةِ ومقاومةُ الانصهارِ في الشيوعيّة ٢٣

٤- المسلمونَ في تُرْكِسْتانِ الشرقيّةِ.. صِراعُ الهُويّةِ والاستقلالِ ٢٩

٥- مُسلمو «القِرم» أيتامٌ على موائدِ اللئامِ.. الروسُ والأُوكران!..... ٣٥

٦- أبخازيا.. أرضُ الروحِ.. لؤلؤةُ البحرِ الأسودِ..... ٤٥

٧- تايوان.. نموذجٌ فريدٌ في احترامِ حقوقِ الأقلياتِ وحرياتِهم الدينيّةِ..... ٥٧

٨- هونج كونج.. الميناءُ العَطِر...ولؤلؤةُ الشرقِ !..... ٧٣

الفهرس ٨٠

هذا الكتاب

هـذا الكتـابُ ...هـو الإصـدارُ الأولُ مـن سلسـلةِ "مسـلمونَ خلـفَ الذاكـرةِ" التـي تتنـاولُ شـؤونَ وأحوالَ الأقلياتِ المسلمةِ في العالم بقاراتِهِ السبع .

وقـد كانـت غالبيـةُ هـذه الأقليـاتِ - التـي يزيـدُ عددُهـا علـى 300 مليـون مسـلم يُعانـي معظمُهـم صـوراً مختلفـةً مـن التهـمِّيش السياسـيِّ، والاجتماعـيِّ، والاضطهـادِ، والتعذيـبِ، - صَاحِبـةَ سـيادةٍ فـي بلادِهـا، لكـنَّ تكالـبَ قـوى الاسـتعمار العالمـيِّ عليهـا أفْقدَهَـا كثيـراً مـن قُواهـا وأراضيهـا، وحوَّل أغلبياتهـا الكبيـرةِ إلـى أقليـاتٍ مَهيضَـةِ الجَنَـاحِ، منقُوصَـةِ الحُقـوق، بـل يتعـرضُ كثيـرٌ مـن أبنائِها للتنكيل والتشرِّيد من أرضِهِ.

وفـي الوقـتِ نفسِـه تُعانـي هـذه الأقليـاتُ حالـةً مـن التعتيـم علـى قضاياهـا والإهمـال لشـئونها، حتـى إنَّ بعضَهـا يـكادُ يندثـرُ فـي صمـتٍ دونَ أنْ يعلـمَ المسَـلمون عنـه شـيئاً، كمـا أن المعلومـاتِ والبيانـاتِ المنشـورةِ عنهـا تتعـرضُ – غالبـاً - لعملياتِ تزييـفٍ وتشـويهٍ، تُظْهـرُ أعدادَهـم بصـورةٍ متناقضـةٍ، كمـا تُبـرزُ أحوالَهـم بشـكلٍ مغلـوطٍ، بحيـثُ لا يمكـنُ للباحـثِ فـي شُـئونِهم وضـعَ يـدِهِ على حقيقةِ ما يدورُ إلاَّ بصعوبة بالغةٍ.

لكـنْ - بحمـد اللّه - سـاعدَني علـى إنجـاز هـذه السلسـلةِ مُتابعاتـي المُسـتمِرةُ لشـئون هـذه الأقليـاتِ، علـى امتـدادِ أكثـرَ مـن عشـرين عامـاً، وزياراتـي المُتعـددةُ لبلدانهـا ودراسـةُ أحوالِهـم علـى أرضِ الواقـع، ولقاءاتـي بقيـاداتِ كثيـر منهـا فـي العديـدِ مـن دولِ العالـم خلالَ النـدواتِ والمؤتمـراتِ، وهو ما سَاعَدَ على استمرار التواصلِ معهم حتى اليوم.

فـي هـذه السلسـلةِ نعـرضُ للأوضـاع والسياسـاتِ التـي أدتْ بهـذه الأقليـاتِ إلـى الاضطهـادِ أو صعوبـةِ التعايـش، وكيـف تتعامـلُ مـع مجتمعاتِهـا المختلفـةِ، ثقافيًّـا، ودينيًّـا، والأدوارِ السياسـيَّة، والاجتماعيَّة، والاقتصاديَّة التي يقومون بها، وأهمُ التحدياتِ التي تواجههم.

وهـذا الإصدارُ الـذي بيـن أيدينـا، يتنـاولُ بالتحليـل قصـةَ سـبع مـن الأقليـاتِ المسلمةِ : الرُوهنجيا – المسـلمون داخـل الصيـن الشعبيُّة – مسلمو تركسـتان الشـرقيِّة – مسلمو شبه جَزيـرة القـرم - المسلمون في أبخازيا - تايوان - هونج كونج.

وسـوفَ تعْقُبُـهُ - إنْ شـاءَ اللّه - إصـداراتٌ أخـرى متتاليـةٌ ضمـن هـذه السلسـلةِ، أملاً فـي تغطيـةِ شئون وتاريخ جميع الأقلياتِ المسلمةِ في قاراتِ العالم السبع .

ونسألُ اللّه التوفيقَ والقبولَ.

إنسان للدراسات الإعلامية
İnsan Medya Araştırmaları Merkezi

ISBN 978-625-902-585-8
9 786259 025858